رسائل السيوطي

٩

إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة

تأليف
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
المتوفى سنة ٩١١هـ

تحقيق:

د. خالد عبد الكريم جمعة　　عبد القادر أحمد عبد القادر

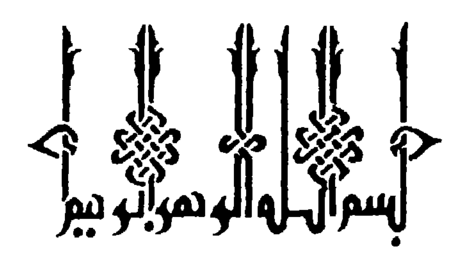
الناشر
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع

إتمام النعمة
في اختصاص الإسلام
بهذه الأمة

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الناشر
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع

النقرة - شارع عثمان - مجمع طاهر بو حمد / الدور الأول
ص.ب ٢٦٢٢٣
الرمز البريدي 13123 الصفاة - الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هٰـذه هي الـرسـالـة التـاسعـة من سلسلة رسـائـل الحـافظ الجـلال السيـوطي، وهي بعنـوان: «إتمـام النعمـة في اختصـاص الإسـلام بهٰـذه الأمة».

موضوعها:

اختلف الناس في الديانات السماوية السابقة، وهل يصح أن يطلق عليهـا اسم الإسـلام، وعلى معتنقيهـا اسم المسلمين، وهـل سمّىٰ الله سبحـانه وتعـالى تلك الديـانات بـذلك أم أن هٰـذا الاسم خـاصّ بـالـدين السماوي الذي بعث الله به محمداً ﷺ.

وقـد قرأ المؤلف وسمـع أقوال بعض العلمـاء في أن الأمم السـابقـة يوصفون بكونهم مسلمين، فكتب هٰذه الرسالة للردّ على من أفتىٰ بذلـك، معتمداً على ما ورد في القـرآن الكريم من آيـات وعلى تفسير السلف لمـا ورد في هٰذه الآيات؛ أي معتمداً على التفسير بـالمأثـور. وقد بلغت أدلتـه التي اعتمد عليها ثـلاثة وعشـرين دليلاً، ثم نـاقش أدلة القـول الثاني التي اعتمدها أصحابها في إثبات هٰذه التسمية للأمم الأخرى.

نسبتها :

نسبهـا له حـاجي خليفة في كشف الـظنون : ١/٨، والبغـدادي في هــديـة العــارفين: ١/٥٣٥، ولـم يـذكـرهـا المصنف في كتـابـه حسن

المحاضرة، وربما كان تأليف الرسالة متأخراً عن تأليف حسن المحاضرة.

نسخها :

يوجد منها نسخة خطية في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٤١٦، حديث مجاميع، ونسختان في مكتبة شستربتي ـ دبلن، تحت الرقمين: ٥١١٢، ٥٥٠٠، ومنهما صورة ميكروفيلم في مكتبة جامعة الكويت تحت الرقمين ٣٦٠٩، ٣٩٩٧، وهناك نسخة خطيّة في مكتبة الخزانة العامة بالرباط.

النسخ المعتمدة في التحقيق :

أ ـ نسخة شستربتي التي تحمل الرقم ٥١١٢، وقد حصلنا على صورة منها من مكتبة جامعة الكويت، حيث يوجد منها صورة على ميكروفيلم يحمل الرقم ٣٦٠٩.

وهي ضمن مجموع يحتوي على (٣١) رسالة من رسائل الجلال السيوطي، وموقع رسالتنا فيه السابعة عشرة، من الورقة ١٨٩ظ، إلى الورقة ١٩٩و.

والمجموع يتكون من ٢٩٣ ورقة، جاء في آخره أن ناسخه سليمان الذاكر المدني، ولم يذكر تاريخ النسخ.

وكتب المجموع بخط نسخ عاديّ مقروء، كل صفحة فيها ٢٣ سطراً، وكل سطر فيه من ٩ ـ ١٣ كلمة.

وكتبت العناوين فيه بخط كبير مميز واضح.

ب ـ نسخة شستربتي التي تحمل الرقم ٥٥٠٠. وقد حصلنا على صورة

منهـا من مكتبـة جـامعـة الكـويت، حيث يـوجـد منهـا صـورة على ميكروفيلم، يحمل الرقم ٣٩٩٧.

وهي ضمن مجموع يتكون من ٥٥٠ صفحة. كتب بخط عادي غير حسن، ولكنـه مقروء، وفيـه صفحات غيـر واضحة، لاختـلاط تعليقات لا تمت للمـوضـوع بصلة، وخـلا المجمـوع من اسم النـاسـخ ومن تـاريـخ النسخ، وفيه صفحات مطموسة تماماً بفعل الرطوبة.

ورسالتنا تقع فيه في الصفحة ٨٧ وتنتهي في الصفحة ١٠٢ وفي كل صفحـة ٢٥ سـطراً، في كـل سـطر ٩ ـ ١١ كلمـة، وعلى حـواشي بعض الصفحات كتابات وتعليقات.

ورمزنا لها بالنسخة «ب».

عملنا:

اتخـذنا نسخـة شستربتي ذات الـرقم: ٥١١٢ أصلاً، ورمـزنـا لهـا «بالنسخة الأصل»، فنسخناها، ثمّ قارنّاها بـالنسخة الثـانية التي رمـزنا لهـا بـالحرف «ب»، وأثبتنـا الفروق في الحـواشي، ثم ضبطنـا النّص ضبـطاً كاملاً، وبخاصة الآيـات والأحاديث، وخـرّجنا الآيـات فنسبنا كـل آية إلى سورتها ووضحنا رقمها، وخرّجنا الأحاديث والآثار والأقوال من الكتب التي ذكر المصنف أنها مرويّة فيها، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، أما الكتب التي لم نتمكن من الحصول عليها فقد خرّجنا الأحاديث من كتب الحديث التي روتها.

وعملنا فهارس فنيـة للآيـات وللأحـاديث والآثار والأقـوال، وفهرس للكتب الواردة في النص، وفهرس للأشعار، وفهرس للأعلام.

ونأمل في أن يكون عملنا هٰـذا مما يتقـرّب به إلى الله ، هـو مولانـا ، وحسبنا به وكيلاً ومعيناً .

المحققان

الفتاوى الاصولية الدينية مبحث الالهيات

مسألة في تعريف الايمان وركنه وشرطه وسببه ومحله وهل
يزيد وينقص وما الدليل على ذلك الجواب الايمان هو التصديق بكل
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعلم مجيئه به من الدين بالضرورة وشرطه التلفظ
بكلمتي الشهادتين وقيل هو ركن له وسببه النظر المؤدي الى ذلك ومحله
القلب وهو يزيد وينقص عندنا وعند اكثر السلف وخالف في ذلك الحنفية
والادلة على زيادته ونقصه كثيرة ذكر البخاري في صدر صحيحه منها جملة
منها قوله تعالى ويزداد الذين امنوا ايمانا وزدناهم هدى وفي الحديث
الايمان يزيد وينقص اخرجه احمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل مرفوعا والديلمي
في مسند الفردوس من حديث ابي هريرة مرفوعا اهـ

اتمام النعمة في اختصاص الاسلام بهذه الامة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد
فقد وقع السؤال عما اذا كان الامم السابقة يوصفون بانهم مسلمون
اولا فاجبت بما نصه اختلف العلماء هل يطلق الاسلام على كل دين
حق او يختص بهذه الملة الشريفة على قولين ارجحهما الثاني فبلغني بعد ذلك
ان منكرا انكر ذلك وانه استدل باشياء على كون الامم السابقة يوصفون بكونهم
مسلمين فتعجبت من ذلك تعجبين الاول [illegible] انكاره فان كان انكاره لكون
في ذلك قولين فهذا دليل على جهله بنصوص العلماء واقوالهم ومن هذا حاله ينبغي ان يسكت
في حقه [illegible] من لا يعرف نقل الاختلاف ومن قصر باعه وضاق
نظره عن كلام علماء الامة والاطلاع عليه فماله والتكلم فيما لا يدريه والدخول
فيما لا يعنيه وحق مثل هذا ان يلزم السكوت واذا سمع شيئا لم يسمعه قط يعتقد
انه استفاد فائدة جديدة فيعدها نعمة من نعم الله عليه ويشكر الله تعالى عليها
ويدعو لمن اجراها الله على يديه وان كان انكر ترجيح انه قول الثاني فمثل الشيء

صورة الصفحة الأولى من الرسالة من مخطوطة شستربتي.

الا بما بدلت في موضع من اهل الكتاب تمسكوا ببعض امر التوراة والشرائع
التي انزلت فهم بقولـــ ادخلوا في شرائع دين محمد صلى الله عليه وسلم ولا تدعوا
منها شيئا وهذا صريح في ان شريعة التوراة لا يتمسك بها تنبيه
ذكر السبكي في عبارته لما تكلم على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم الى الجن من آيات
من القرآن يستدل بها على ذلك سهل اعتقاد ذلك واعلم ان المقصود تكثير
الادلة لان الاية الواحدة او الايتين قد يمكن تأويلها ويتطرق اليها الاحتمال
فاذا كثرت تترقى الى حد يقطع بارادتها ظاهرا ونفي الاحتمال والتاويل عنها
اصلا تولـــ ولذلك اوردنا هنا الامر وعشرين دليلا لان كل دليل
منها على انفراده يمكن تاويله ويتطرق الاحتمال اليه فلما كثرت هذه الكثرة ترقى
الى حد يقطع بارادة ظاهرها ونفي الاحتمال والتاويل عنها وعرف
بجملته الظن دون القطع لاجل ما عارضها من الايات التي استدل بها للقول الاخر
وهذا مقام لا ينظر فيه ويحكم بما رجح الا المجتهد
والله الموفق ● اخر الكتاب
قال مؤلفه رحمه الله تعالى
ورضي عنه الفقير في شوال من شهور سنة
ثمان وثمانين وثمانمائة

مسئلة

يا مفردا باجتهاد في الاوان ويا ● بحر الوفا والصفا والعلم والحكم
ما حد توحيدنا لله خالقنا ● سبحانه جل عز ابتر وعن مشكل
الجواب روينا باسناد صحيح من طريق المزني ان رجلا سأل الربيع عن الكلام
فقال اني اكره هذا الكلام كما كان عليه الشافعي فلقد سمعته يقول
سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك محال ان يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم انه
علم امته الاستنجا ولم يعلمهم التوحيد والتوحيد ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم امرت

صورة الصفحة الأخيرة من الرسالة من مخطوطة شستربتي

٨٧

رسالة الإمام... في اختصاص الإسلام بهذه الأمة

... شيخ الإسلام والمسلمين الحافظ المجتهد

... عبد الرحمن جلال الدين السيوطي

غفر الله له ولوالديه ولنا ولوالدينا

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الصفحة الأولى من الرسالة من مخطوطة شستربتي، مصورة جامعة الكويت.

... بعض شرايع [illegible]

اهل التفسير نزلت فيمن اسلم من اهل الكتاب وبقي على تعظيم بعض شرايع [illegible]
ويدل كلامه تعالى [illegible] امرهم ان يدخلوا في شرايع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشي
من احكام التوراة لانها منسوخة ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التمسك بشي
احكام التوراة بعد ان عرفتم نسخه وكافة من وصف السلم كانه قيل ادخلوا في جميع
شرايع الاسلام اعتقادا وعملا هذه عبارة البيضاوي في تفسير هذه الاية وقد
اخرج ابن جرير [illegible] عن ابن عباس [illegible] الاية قال نزلت
في مؤمني اهل الكتاب تمسكوا ببعض امر التوراة والشرايع التي انزلت
فيهم يقول ادخلوا في شرايع دين محمد صلى الله عليه وسلم ولا تدعوا منها شيئا وهذا
صريح في ان شريعة التوراة لا تسمى اسلاما [illegible] ذكر السبكي
في عبارته لما تكلم على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للانس والجن هذه ايات
من القران استدل بها على ذلك ثم قال عقب ذلك واعلم ان المقصود بتكثير
الادلة ان الاية الواحدة او الاثنين قد يمكن تاويلها ويتطرق اليها الاحتمال
فاذا كثرت قد تنتهي الى حد القطع بارادة ظاهرها او ينفي الاحتمال
وارتفاع [illegible] عنها انتهى اقول ولعل ذلك لوروده هنا ثلاثة وعشرين
دليلا لان كل دليل منها على انفراده وحده يمكن تاويله وتطرق الاحتمال اليه
فلما كثرت هذه الكثرة ترقت الى حد غلب على الظن ارادة ظاهرها ونفي
الاحتمال والتاويل عنها وعبرت بغلبة الظن ودون القطع لانه ربما [illegible]
من الايات التي استدل بها للقول الاخر وهذا مقام لا يقطع فيه ويحكم
بالترجيح الا المجتهد والله الموفق قال [illegible] مؤلفه نفعنا الله والمسلمين
ببركاته وبركات علومه في الدنيا والدين الفقير [illegible] سنة
ثمان وثمانين وثمان مائة

يدل

صورة الصفحة الأخيرة من الرسالة من مخطوطة شستربتي، مصورة جامعة الكويت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله وسلامٌ على عبادِه الَّذينَ اصطَفىٰ، وبعدُ:

فقدْ وقعَ السُّؤالُ: هلْ كانَ الأممُ السابِقةُ يُوصَفُون بـأنَّهم مُسلِمونَ أوْ لاَ ؟ فأَجبتُ بِما نَصُّه:

اختلفَ العلماءُ: هل يُـطلَقُ الإسلامُ على كـلِّ دينٍ حقٍّ، أو يختصُّ بهٰـذهِ المِلَّةِ الشَّريفـةِ ؟ علىٰ قَولَيْن أرجحُهُمـا الثَّاني، فبلغَني بعـدَ ذٰلِك أنَّ مُنكِراً أنكرَ ذلـك، وأنَّه استـدلَّ بأشيـاءَ علىٰ كونِ الأممِ السَّـابقةِ يُـوصَفُون بِكونِهم مُسلِمين، فعجبتُ منْ ذلك عَجَبيْنِ:

الأوَّلُ: مِنْ إنكارِه، فإنْ كانَ أنكرَ أنَّ للعلماءِ في ذلك قَـولَيْن، فهٰذا دليلٌ على جَهلِهِ بنصوصِ العُلمـاءِ وأقَوالِهِمْ، ومَنْ هٰـذهِ[1] حالُـه يُقَالُ فِي حقِّهِ ما قال الغزاليّ: «لو سكتَ منْ لاَ يعرفُ قلَّ الاختلافُ» ومنْ قَصُرَ باعُه وضاقَ[2] نظرُه عن كلام علماءِ الأمّةِ، والاطِّلاع عليهِ، فما لَه وللتكلُّمِ فيما لا يدريهِ، والدُّخولِ فيما لاَ يعنيهِ ؟ وحقُّ مثلِ هٰذا أنْ يلزمَ السكوتَ، وإذا سمعَ شيئاً لم يَسمعهُ قطُّ يعتقدُ أنّه استفادَ فائدةً جـديدةً، فيعِـدُّها نِعمـةً من نعمِ الله عليـهِ، ويشكرَ الله تَعـالىٰ عليها، ويـدعُـوَ لمن أجـرَاهـا الله على

(١) في الحاوي المطبوع، وفي النسخة ب: ومن هٰذا حاله، وكلاهما صواب فالحال تؤنث وتذكر، أنظر همع الهوامع: ٦ / ٨.

(٢) في الأصل «وضاقت» والمثبت من النسخة ب ومن الحاوي المطبوع.

يديه[٣]، وإنْ كانَ أنكرَ ترجيحَ المنقولِ الثاني، فهذا ليسَ من وظيفتِهِ، إنَّما ذلكَ من وظيفةِ المجتهدينَ العالمينَ بوُجوهِ التَّرجيحاتِ، ومسالكِ الأَدلَّةِ، وطُرقِ الحِجاجِ والنَّظرِ. وإنكارُهُ أيضاً دليلٌ على جهلِهِ بنصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ الواردةِ في ذلِك.

العجبُ الثَّاني: من استدلالِهِ، فإنَّ الاستدلالَ إنّما يَسوغُ للمجتهدِ العالِمِ بطرقِ الاستدلالِ. أمَّا غيرُه، فما لَهُ ولذلك؟. قال الغزالي في كتابِ «التَّفرقةِ»: «شرطُ المقلِّد أنْ يَسكتَ، ويُسْكَتَ عنهُ؛ لأنَّه قاصرٌ عن سلوكِ طريقِ الحِجاجِ. ولو كانَ أهلاً له، كانَ مُستتْبَعاً لا تابعاً، وإماماً لا مَأْموماً. وإنْ خاضَ المقلِّدُ في المحاجّةِ، فذلكَ منه فضولٌ، والمشتغلُ به ضاربٌ في حديدٍ باردٍ، وطالبٌ لإصلاحِ فاسدٍ، وهَل يُصلحُ العطَّارُ ما أفسدَ الدَّهرُ»[٤]. هٰذه عبارةُ الغزاليّ.

وقالَ الشيخ عز الدّينِ بنُ عبدِ السَّلامِ: «شرطُ المفتي أن يكونَ مجتهداً، وأمَّا المقلِّدُ إذا أفتىٰ، فهوَ ناقلٌ، وحاملُ فقهٍ، ليسَ بمفتٍ، ولا فقيهٍ، بل هوَ كمن ينقلُ فتوىٰ عن إمامٍ من الأئمةِ. ثمّ أطالَ القولَ في ذلك.

والعجبُ من هٰذا المنكرِ استدلالُه بآياتٍ من القرآنِ، وليسَ هوَ ممَّنْ

---

(٣) في الحاوي المطبوع: جاءت العبارة هكذا: «ويدعو لمن أحياها الله على يديه ويشكر الله تعالى عليها».

(٤) هٰذه العبارة «وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر» عجز بيت من الشعر ورد مع بيت آخر في عيون الأخبار: ١٠ / ٤٤، غير منسوبين، قالهما رجل من الأعراب في امرأة له عجوز كانت تشتري العطر بالخبز، وهما:

عجوزٌ تُرجّي أن تكون فتيّةً ... وقد غارت العينان واحدودب الظَّهرُ

تدُسُّ إلى العطّار سلعةَ بيتها ... ولن يصلح العطّار ما أفسد الدهر

ورواهما المبرّد في الكامل: ١ / ٣١٢، برواية «وقد لحب الجنبان» مكان «وقد غارت العينان»، وبرواية «وهل يصلح». وجاء فيه بعدهما بيتان آخران هما:

وما غرّني إلّا خضابٌ بكفّها ... وكحلٌ بعينيها وأثوابها الصُّفْر

وجاءوا بها قبل المحاق بليلةٍ ... فكان محاقاً كلّه ذلك الشهر

ورواهما ابن دريد في أماليه، انظر: تعليق من أمالي ابن دريد: ٢١٠.

أتقنَ علمَ المعاني والبيانِ، الذي لا تُعرفُ بلاغةُ القرآنِ وأساليبُهُ إلّا به، وذلك من شروطِ الاجتهادِ والاستنباطِ، بلْ ولا أتقنَ واحداً من العلومِ الخمسةَ عشرَ(٥)، التي لا يجوزُ لأحدٍ أنْ يتكلَّمَ في القرآنِ حتّى يُتْقِنَها.

والعجبُ من تَصَدِّيه لذكرِ أدلةٍ، ولو أوردَ عليهِ أدلَّةٌ مُعارضةٌ لِما ذكرَهُ، لم يدرِ كيفَ يصنعُ فيها. وقد أردتُ أنْ أبسطَ القولَ في هٰذه المسألةِ بذكرِ أدلةِ القولِ الراجحِ، والأجوبة عمَّا عارضَها، فأقولُ:

للعلماءِ في هٰذهِ المسألةِ قولانِ مشهورانِ، حكاهُما غيرُ واحدٍ من الأئِمةِ:

أحدُهما: أنَّه يطلق الإسلامُ علىٰ كلِّ دينٍ حقٍّ، ولا يختصُّ بهٰذهِ الملَّةِ. وبهٰذا أجابَ ابنُ الصَّلاحِ.

والقولُ الثَّاني: أنَّ الإسلامَ خاصٌّ بهٰذهِ الملَّةِ الشَّريفةِ، ووصفُ المسلمِينَ خاصٌّ بهٰذهِ الأمَّةِ المُحمَّديّةِ، ولم يوصفْ بهِ أحدٌ منَ الأممِ السَّابقة سوىٰ الأنبياءِ فقطْ. فشُرِّفتْ هٰذه الأمَّةُ بأنْ وُصِفت بالوصفِ الّذي كانَ يُوصفُ به الأنبياءُ، تَشريفاً لَها وتكريماً. وهٰذا القولُ هو الراجحُ نقلاً ودَليلاً، لما قامَ عليه منَ الأدلَّةِ السَّاطِعةِ.

وقد خُصَّتْ هٰذهِ الأُمةُ من بينِ سائرِ الأُممِ بِخصائِصَ لم تكنْ لأحدٍ سِوَاها إلَّا للأنبياءِ فقط:

من ذلِكَ: الوضُوءُ، فإنَّهُ خَصيصةٌ لهٰذهِ الأمَّةِ، ولم يكنْ أحدٌ من الأممِ يتوضَّأ إلَّا الأنبياءُ فقطْ في أشياء أخر.

---

(٥) العلوم الخمسة عشر التي لا يجوز لأحد أن يتكلم في القرآن حتى يتقنها هي: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات وأصول الدين وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم والموهبة والاستنباط، الاتقان ٢/١٨٠.

أخرج البيهقي في «دلائل النبوة»[٦] عن وهب بن منبه قال: «إنَّ الله أوحىٰ إلى داودَ في الزَّبورِ: يا داودُ إنَّه سيأتي من بعدِكَ نبيٌّ اسمُهُ أحمد» إلى أنْ قالَ: «أمَّتُهُ أمَّةٌ مرحومةٌ، أعطيتُهم من النوافلِ مثلما أعطيتُ الأنبياءَ، وافترضْتُ عليهم الفرائِضَ التي افترضتُ على الأنبياءِ والرُّسُلِ، حتى يأتوني يومَ القيامَةِ، ونورُهمْ مثلُ نورِ الأنبياءِ، وذلكَ أني افترضتُ عليهم أن يتطهَّرُوا لي لِكلِّ صلاةٍ، كما افترضتُ على الأنبياءِ قبلَهُم، وأمرتُهم بالغُسلِ مِن الجَنَابةِ، كما أمرتُ الأنبياءَ قبلَهُم، وأمرتُهمْ بالحجِّ، كما أمرتُ الأنبياءَ قبلَهُم، وأمرتُهم بالجِهادِ، كما أمرتُ الرُّسلَ قبلَهُم».

وأخرج الفِريابي[٧] في تفسيرهِ عن كعبٍ قال:[٨] «أُعطيت هٰذه الأمة ثلاثَ خصالٍ، لم يُعطَها إلَّا الأنبياءُ: كانَ النبيُّ يقالُ له بلِّغْ وَلَا حرجَ وأنتَ شهيدٌ على قومِكَ، وادْعُ أُجِبْكَ، وقالَ لهٰذه الأمَّةِ: ﴿وماجَعَلَ عليكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٩] وقالَ: ﴿لِتكُونُوا شهداءَ علىٰ النَّاسِ﴾[١٠] وقال: ﴿ادعوني أستجبْ لَكُم﴾[١١].

---

(٦) دلائل النبوة للبيهقي: ١ / ٣٣٧، ونقله ابن كثير في البداية والنهاية: ٦ / ٦٢، والدر المنثور: ٣ / ١٤٣.

(٧) الفريابي هو محمد بن يوسف بن واقد الضبي بالولاء، التركي الأصل، عالم بالحديث، من الحفاظ. له مسند في الحديث (ت٢١٢). الأعلام ٧ / ١٤٨، وذكر له صاحب كشف الظنون: ١ / ٤٥٦ تفسير القرآن حيث قال: وذكر تفسيره الثعلبي في الكشف.

(٨) في تفسير القرطبي: ١٢ / ١٠٠: «روى معمر عن قتادة قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم يعطها إلَّا نبي، كان يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك وقيل لهٰذه الأمة ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ والنبيُّ شهيد على أمته، وقيل لهٰذه الأمة ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ ويقال للنبي: سل تعطه، وقيل لهٰذه الأمة: ﴿ادعوني استجبْ لكم﴾. في النسخة ب: جاء الحديث بلفظ «خصّت هذه الأمة ثلاث...».

(٩) سورة الحج من الآية ٧٨.

(١٠) سورة البقرة من الآية ١٤٣

(١١) سورة غافر من الآية ٦٠.

وأخـرجَ أبو نُعيم والبيهقيّ كِـلاهُما في « دلائـل النبوة » : عن كعبٍ قالَ: في كتابِ الله أنَّ لكلِّ نبيّ يومَ القيامةِ نُورَينِ ولكلٍّ من اتَّبعَهُ نُورٌ(١٢)، ولمحمّدٍ ﷺ في كلِّ شَعـرةٍ في رأسِه ووجهِـه نورٌ، ولكـلٍّ من اتَّبعَهُ نُـوران يَمشي بِهما كنورِ الأنبياءِ» .

وخصائصُ هٰذهِ الأُمّةِ كثيرةٌ، وفي مَا أوردنَاه كِفاية .

ذكرُ الأَدِلّةِ للقولِ الرَّاجحِ

الدَّليلُ الأول:

قولُهُ تعـالىٰ : ﴿وَجَاهِـدُوا في الله حقَّ جِهادِهِ هُـوَ اجْتَبَاكُمْ ومـا جَعَلَ عَليكُمْ في الـدِّينِ من حرجٍ ملة أَبيكمْ إبـراهيمَ هُوَ سمَّـاكُم المسلمينَ من قبل﴾(١٣) وفي هٰذا اختُلفَ: في ضمير «هُو» هل هُو لإبراهيمَ أَو لله ؟ على قولَيْنِ سيُذكرانِ، وقولِه: ﴿سمَّاكم المسلمينَ﴾ لو لـم يكنْ ذلكَ خاصًا بِهِم كالَّذِي ذُكِرَ قبله، لم يكنْ لتخصيصهِ بالذّكـر، ولا لاقترانِـه بما قبلَه معنىٰ، وهٰذا هوَ الذي فهمَهُ السَّلفُ من الآية .

أَخبـرني الشيـخ جـلالُ الـدّين ابن الملقّن مشـافهـةً عن أبي الفـرج الغزّي(١٤) أنبأنا يونُس بنُ إبـراهيمَ عن أبي الحسن بن المقيِّر، أنـا الحافظ أبو الفضل ابن ناصر إجازةً عن أبي القاسـم ابن مندة، أنا أَبِيّ أنا أبو محمد ابن أَبي حاتم في تفسيرِه،أخبرَهُ أبو زيدٍ القراطيسي فيمـا كتب إلي أنا أصبـ

---

(١٢) في النسخة الأصل «نوراً» والمثبت من النسخة ب ومن الحاوي المطبوع.

(١٣) سورة الحج من الآية ٧٨.

(١٤) أبو الفرج الغزي: لعله أحمد ين عبدالله بن شهاب الدين العامري الغزي ثم الدمشقي (ت٨٢٢)، فقيه شـافعي ، ولد ونشـ بغزة، ثم تحول إلى دمشق، فـولي افتاء دار العـدل والتدريس في أمـاكن عدة، لـه شرح الحـاوي الصغير، وشـرح مختصر المهمات للإسنوي. الأعلام: ١ / ١٥٩.

سَمِعتُ ابنَ زيدٍ يقولُ في قولِ الله تعالى: ﴿هوَ سمَّاكُم المسْلِمِينَ من قبلُ﴾ قالَ: «لم يَذكرِ الله بالإسلامِ غيرَ هٰذهِ الأُمةِ، ولم نسمعْ بأُمةٍ ذُكِرَتْ بالإسلامِ غيرِها». [15] هٰذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابنِ زيدٍ، وهَوَ أحدُ أئِمةِ السَّلَفِ في التفسيرِ، وطبقتُهُ في أتباعِ التَّابِعينَ.

وأخرجَ ابن المنذرِ وابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ عطاءٍ عنِ ابنِ عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿هُوَ سمّاكُم المسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ قالَ: «الله عزَّ وجلَّ سمَّاكُم مسلِمِينَ» [16].

وأخرجَ ابنُ المنذرِ وابنُ أبي حاتمٍ عن مجاهدٍ في قولِه: ﴿هُوَ سمَّاكُم المسلِمِينَ﴾ قالَ: «الله عزَّ وجَلّ سمَّاكُم من قبلُ، قال: يعني من قبلِ الكُتبِ كلِّها، ومن قبلِ الذِّكرِ، وفي هٰذا قالَ: القرآنُ». [17]

وأخرجَ عبد الرزاق، وابن المنذرِ، وابنُ أبي حاتمٍ، عن قتادةَ في قوله: ﴿هو سمَّاكُم المُسلِمِينَ﴾ قال: «الله سمَّاكُم المسلِمِين من قبلُ في الكتبِ، وفي هٰذا؛ أيْ في كتابِكُم». [18]

وأخرجَ عبدُ بنُ حُميدٍ، وابن المنذرِ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ في قولِهِ: ﴿هُوَ سمَّاكُم المسْلِمِينَ مِنْ قَبلُ﴾ قال: «في التَّوراةِ، والإنجيلِ، وفي هٰذا، قال: القرآنُ». [19]

---

(١٥) في تفسير الطبري: ١٧ / ٢٠٨، وفي الدر المنثور: ٦ / ٨١ نسبه إلى ابن أبي حاتم عن ابن زيد.

(١٦) تفسير الطبري: ١٧ / ٢٠٧، وفي ابن كثير: ٤ / ٦٦٨، والقرطبي: ١٢ / ١٠١، وفي الدر المنثور: ٦ / ٨٠ ونسبه لابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس.

(١٧) في تفسير الطبري: ١٧ / ٢٠٨، وابن كثير: ٤ / ٦٦٨، والقرطبي: ١٢ / ١٠١، وفي الدر المنثور: ٦ / ٨١.

(١٨) في تفسير الطبري: ١٧ / ٢٠٧، وابن كثير: ٤ / ٦٦٨، والقرطبي: ١٢ / ١٠١، وفي الدر المنثور: ٦ / ٨١.

(١٩) في ابن كثير: ٤ / ٦٦٨، والقرطبي: ١٢ / ١٠١ وفي الدر المنثور: ٦ / ٨١ ونسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وذكر ابنُ أبي حاتمٍ، عن مُقاتل بنِ حيَّان في قولـهِ: ﴿هُوَ سمَّـاكُم المُسلِمينَ من قبـلُ﴾ قالَ: «يعني في الـذِّكرِ، في أُمِّ الكتـابِ، وفي هٰذا، قال: في القرآنِ».[٢٠]

ومن[٢١] نصوصِ أئمةِ السَّلَفِ المفسِّرينَ من الصَّحابةِ، والتَّابِعينَ، وأتبـاعِهِمْ، أنَّ الله سمَّىٰ هذهِ الأُمـةَ المسلمينَ في أُمِّ الكِتابِ، وهـوَ اللَّوحُ المحفـوظُ، وفي التـوراةِ، والإنجيـلِ، وسـائـرِ كُتبـه، المُنـزَلـةِ، وفي القرآنِ،[٢٢] فإنَّه اختصَّهُم بهٰذا الاسمِ من دونِ[٢٣] سائِرِ الأُمَمِ. وستـأتي الآثارُ عن بعضِ كتبِ الله في تسميةِ هٰذهِ الأُمة بهٰذا الاسمِ.

وأخـرجَ ابنُ أبي حـاتمٍ عن ابنِ زيـدٍ في قـولِـهِ: ﴿هُـوَ سَمَّـاكُم المُسْلِمينَ﴾قال: هُوَ إبراهيمُ ألا ترىٰ إلى قوله[٢٤]: ﴿ربَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ومِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمةً مسلمةً لَكَ﴾[٢٥].

الدلِيلُ الثَّاني:

قـولُه تعـالىٰ ـ حكايـةً عن إبراهيمَ عليـهِ السَّلامُ ـ: ﴿ربَّنَـا واجعَلْنـا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، دعا بذلك لنفسـه ولِولَـدِهِ وَهما نبيَّان، ثم دعا بِهِ لأُمةٍ من ذُرِّيَّتِهِ، وهي هٰذهِ الأُمةُ، ولهذا قـالَ عِقْبَ ذلكَ: ﴿ربَّنَا وابعثْ فيهِمْ رسُولاً مِنْهُم﴾[٢٦]، وهوَ النبيُّ ﷺ بالإجماعِ، فأجـابَ

---

(٢٠) في ابن كثير: ٤ / ٦٦٨.

(٢١) في الحاوي المطبوع: «فهٰذه». وكذا في النسخة ب.

(٢٢) في الحاوي المطبوع: «وسائر كتبه المنزلة في القرآن».

(٢٣) في الحاوي المطبوع: «من بين».

(٢٤) في الطبري: ١٧ / ٢٠٨ عن ابن زيد. وابن كثير: ٤ / ٦٦٨، والقرطبي: ١٢ / ١٠١، والدر المنثور: ٦ / ٨١ ونسبه إلى ابن أبي حاتم.

(٢٥) سورة البقرة من الآية ١٢٨.

(٢٦) سورة البقرة من الآية ١٢٩.

اللهِ دعاءَهُ بالأمرَيْنِ: ببعثِ النبيِّ ﷺ فيهِمْ وَبِتسميتِهِمْ مُسلِمين، ولهٰذا أشارَ تعالىٰ إلىٰ أنَّ إبراهيمَ هوَ السببُ في ذلكَ لقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبراهيمَ هُوَ سَمَّاكُم المسلِمِينَ﴾[٢٧]، كما تقدَّمَ عن ابنِ زيد[٢٨].

وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن سلامِ بنِ أبي مطيعٍ في قوله: ﴿ربَّنَا واجعلنَا مُسلِمَيْنِ لَكَ﴾ قالَ: «كانَا مسلِمَيْنِ، ولكنْ سألاهُ الثَّباتَ»[٢٩].

وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن السُّدِّيِّ في قولِهِ: ﴿ومِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مسلِمَةً لَكَ﴾[٣٠] قالَ: يعنيانِ العَرَب»،[٣١] وفي قولِهِ: ﴿ربَّنَا وابْعَثْ فيهِمْ رسُولاً مِنْهُم﴾[٣٢] قالَ: «هو محمَّدٌ ﷺ»[٣٣].

وأخرج ابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتمٍ، عن أبي العاليةِ في قولِهِ: ﴿ ربَّنَا وابعَثْ فيهِمْ رَسُولاً مِنهُم ﴾ قالَ: «يعني أُمَّةَ محمَّدٍ»، فقيلَ لَهُ: «قد اسْتُجِيبَ لَكَ، وهوَ كائنٌ في آخِرِ الزَّمانِ»[٣٤].

الدليل الثَّالِث:

قوله تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لكمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾[٣٥] هٰذا[٣٦] ظاهِرٌ في الاختصاصِ بِهِمْ. فإنْ قلتَ: لا يَلزَم، قلتُ: ذاكَ لِجَهْلِكَ بقواعِدِ

(٢٧) سورة الحج من الآية ٧٨.

(٢٨) انظر الحاشية ٢٤.

(٢٩) في ابن كثير: ١ / ٣٢٢، والدر المنثور: ١ / ٣٣١.

(٣٠) سورة البقرة من الآية ١٢٨.

(٣١) في الطبري: ١ / ٥٥٣. وابن كثير: ١ / ٣٢٢. والدر المنثور: ١ / ٣٣١.

(٣٢) سورة البقرة من الآية ١٢٩.

(٣٣) في الطبري: ١ / ٥٥٧، وابن كثير: ١ / ١٨٤، وفي الدر المنثور: ١ / ٣٣٤، ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣٤) الطبري: ١ / ٥٥٧، وابن كثير: ١ / ٣٢٤، والدر المنثور: ١ / ٣٣٤.

(٣٥) سورة المائدة من الآية ٣.

(٣٦) في الحاوي المطبوع «هو». وكذا في النسخة ب.

المعاني، فإنَّ تقديمَ «لكم» يستلزِمُه، ويفيدُ أنَّه لم يرضَهُ لغيرِهم، كما قالَ صاحبُ الكشَّاف[٣٧] في قولِهِ تعالىٰ: ﴿وبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٣٨]: «أنَّ تقديمَ «هُمْ» يفيدُ أنَّـهُ تعريضٌ بـأهـلِ الكتـابِ، وأنَّهم لا يُوقِنونَ بالآخِرَةِ[٣٩]، وكما قالَ الأصفهانيُّ: في قولِهِ: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٤٠] «أنَّ تقديمَ «همْ» يفيدُ أنَّ غيرَهُم يخرجُ وَهُمُ الموحِّدُون»[٤١].

الدلِيلُ الرَّابع:

قولُه تعالىٰ: ﴿إنَّا أنزَلْنَا التَّوراةَ فيها هُدىً ونورٌ يَحكُمُ بها النبيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُوا لِلَّذينَ هَادُوا﴾[٤٢]، وبهٰذهِ الآيةِ استدلَّ منْ قالَ: «إنَّ الإسلامَ كانَ منْ وصفِ الأنبياءِ دونَ أُمَمِهِم».

أخرجَ ابنُ المنذرِ عن عكرمةَ، وابنُ جريجٍ في قولِهِ: ﴿يحكُمُ بِها النبيُّونَ﴾ [الآية][٤٣] قالا: [٤٤]«يحكُمُ بِها محمدٌ ﷺ ومَنْ قبلَهُ من الأنبياءِ والربَّانيُّونَ والأحبارُ، كُلُّهم يحكمُ بما فيها مِنَ الحقِّ لِيَهود»[٤٥].

الدلِيل الخامس:

ما أخرَجَهُ إسحقُ بنُ راهويهِ في مُسنده، وابنُ أبي شيبةَ، في مصنَّفِهِ عن مكحولٍ قالَ: «كان لِعُمَر على رجلٍ حقٌّ فأتاهُ يطلُبُه، فقال عمرُ لاَ

---

(٣٧) هو الزمخشري.

(٣٨) سورة البقرة من الآية ٤.

(٣٩) الكشاف: ١ / ١٣٧ وجاء فيه: «وفي تقديم الآخرة وبناء «يوقنون» على «هم» تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على حقيقته، وأن قولهم ليس بصادر عن إيقان، وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك».

(٤٠) سورة البقرة من الآية ١٦٧.

(٤١) في القرطبي: ٢ / ٢٠٧ «وما هُم بخارجين من النار» دليل على خلود الكفار فيها وأنهم لا يخرجون منها.

(٤٢) سورة المائدة من الآية ٤٤.

(٤٣) ما بين معقوفتين زيادة من الحاوي المطبوع.

(٤٤) في الحاوي المطبوع قال.

(٤٥) في الطبري: ٦ / ٢٤٩، وفي الدر المنثور: ٣ / ٨٦، ونسبه إلى عبد بن حميد وابن جرير وأبي الشيخ عن الحسن.

والَّذِي اصطَفىٰ مُحَمَّداً على البَشرِ، لا أُفارِقُكَ، فقالَ اليهوديُّ: واللهِ ما اصطَفىٰ اللهُ محمداً على البشرِ، فلطَمَهُ عمرُ، فأتى اليهوديُّ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فأخبَرَهُ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «بل يا يهوديّ: آدمُ صفيُّ اللهِ، وإبراهيمُ خليلُ اللهِ، وموسىٰ نَجيُّ اللهِ، وعيسىٰ روحُ اللهِ، وأنا حبيبُ اللهِ، بل يا يهوديّ: تسمّى اللهُ باسمَيْنِ، سمَّىٰ بِهِما أُمتي، هو السَّلامُ وسمّىٰ بها أُمتي المُسلِمينَ، وهُوَ المؤمنُ، وسمّى بها أُمتي المؤمنينَ، بَل يا يهوديُّ: طلبتُم يوماً ذُخِرَ[٤٦] لَنا، لَنا اليوم ولكمْ غدٌ، وبعدَ غدٍ للنَّصارىٰ، بل يا يهوديُّ: أنتم الأوَّلونَ ونحنُ الآخرونَ السَّابقونَ يومَ القيامةِ، بل إنَّ الجنَّةَ مُحَرَّمةٌ علىٰ الأنبياءِ حتى أَدخلَها، وهي محرمةٌ على الأممِ حتّى تدخلَها أُمتي».

هٰذا الحديثُ صريحٌ في اختصاصِ أُمتِهِ بوصفِ الإسلامِ، كما أنَّ جميعَ ما فيهِ خصائِصُ لها، ولو كانتِ الأُمَمُ مشارِكَةً لها في ذلكَ، لم يحسنْ إيرادُه في معرِضِ التَّفضيلِ، إذ[٤٧] كانَ اليهوديُّ يقولُ: ونحنُ أيضاً كذلكَ، وسائرُ الأُممِ.

الدليلُ السَّادِس:

ما أخرجه البُخارِيُّ في «تاريخِهِ»، والنَّسائيُّ في «سننه»، وابنُ مَردُوَيهِ[٤٨] في تفسيرِه[٤٨م] عندَ قولِهِ: ﴿هو سمَّاكُم المُسلِمينَ﴾ عن الحارثِ

(٤٦) في الحاوي المطبوع «يوم ذخره».

(٤٧) في الحاوي المطبوع «إذا».

(٤٨) ابن مردويه: أحمد بن موسى الحافظ أبو بكر بن مردويه الأصبهاني (ت٤١٠هـ) حافظ مؤرخ مفسر من أهل أصبهان، له كتاب (التاريخ) وكتاب في (تفسير القرآن) و(مسند). الأعلام: ١ / ٢٦١.

(٤٨م) رواه البخاري في التاريخ الكبير: ٢/٢٦٠، وجاء فيه بلفظ «وادعوا بدعوى الله التي سماكم الله المسلمين المؤمنين عباد الله» ورواه ابن كثير: ٤/٦٦٩، والامام أحمد في مسنده: ٤/١٣٠، والترمذي: ٨/٧٦، في الأمثال، ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، والدر المنثور: ٦/٨١.

الأشعريِّ عن رسول الله ﷺ قال: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثاء جَهَنَّم». قال رجلٌ: يا رسولَ الله، وإنْ صامَ وصلّى؟ قالَ: نعمْ، فادعُوا بدعوةِ الله التي سمَّاكُم بِها المسلمين والمؤمنينِ عبادَ الله».

الدليلُ السَّابع:

ما أخرجَهُ ابنُ جريرٍ في تفسيرِه[٤٩] عنْ قتادَةَ قالَ: ذُكِرَ لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ، كانَ يقولُ لمّا أُنزِلَتْ هٰذهِ الآيةُ: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾[٥٠] نحنُ نحكمُ على اليهودِ وعلى مَنْ سِواهُم من أهلِ الأديانِ». هٰذا صريحٌ في أنَّه ﷺ فَهِمَ اختصاصَ الإسلامِ بدينِه».

الدليلُ الثَّامِن:

ما أخرجَهُ ابنُ جريرٍ عندَ قولِهِ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[٥١] عن قتادةَ قالَ: «ذُكِرَ لَنا أَنَّه يُمَثَّلُ لأهلِ كلِّ دينٍ دينُهم يومَ القِيامَةِ، فأمَّا الإيمانُ فَيُبَشِّرُ أصحابه وأهلَهُ ويعدُهُم الخيرَ، حتّى يجيءَ الإسلامُ فيقولُ: ربِّ أنتَ السَّلامُ وأنا الإسلامُ». [٥٢]

هٰذا موقوفٌ[٥٣]، له حكمُ الرَّفعِ [٥٤] لأنَّ مثلَه لا يُقالُ من قبلِ

---

(٤٩) تفسير الطبري: ٦ / ٢٤٩، والدر المنثور: ٣ / ٨٦.

(٥٠) سورة المائدة من الآية ٤٤.

(٥١) سورة المائدة من الآية ٣.

(٥٢) تفسير الطبري: ٦ / ٢٠٨ وفيه زيادة: «فيقول: إياك اليوم أقبل وبك اليوم أجزي»، والدر المنثور: ٣ / ٢٠.

(٥٣) الحديث الموقوف: ما روي عن الصحابي من قوله أو فعله أو نحو ذلك متصلاً كان أو منقطعاً كالمرفوع، وقد يستعمل في غير الصحابي مقيّداً.

ويعض الصحابة يسمي الموقوف بالأثر والمرفوع بالخبر وأمّا أهل الحديث فيطلقون الأثر عليهما. المنهل الروي: ٤٠، والباعث الحثيث: ٢٥، ومقدمة ابن الصلاح: ٢٢، تدريب الراوي: ٦٠ ـ ٦١، ومعرفة علوم الحديث: ١٩، وجامع الأصول: ١ / ١١٩.

(٥٤) الحديث المرفوع: ما أضيف إلى النبي خاصة من قول أو فعل أو تقرير، سواء أكان متصلاً أو منقطعاً.

الرَّأْيِ، وهوَ صريحٌ في أنَّ الإسلامَ يختصُّ بهذا الدِّينِ، ولا يُطلَقُ على كلِّ دينٍ حقٍّ كما ترى، حيثُ فرَّقَ بينَهُ وبينَ الإيمانِ المتعلِّقِ بأهلِ الأديانِ. ولهٰذا أوردَهُ ابنُ جريرٍ عندَ هٰذهِ الآيةِ الدَّالَّةِ على اختصاصهِ بهٰذهِ الأمَّةِ. وفيه تقويةٌ للحديثِ السَّابق: «هو السَّلامُ وسمَّى أمَّتي المسلمِينَ»[٥٥].

الدليلُ التَّاسِع:

ما أخرجَهُ أبو نُعَيْمٍ في «دلائِلِ النُّبوةِ»[٥٥م] عن وَهْبِ بنِ مُنبهٍ قالَ: «أوحىٰ الله إلىٰ أشعياءَ،[٥٦] إنِّي باعِثٌ نبيًّا أُمِّيًا، مولدُهُ بمكَّةَ، ومهاجِرُهُ طِيبَة، عبدي المتوكِّلُ المصطفىٰ» إلى أنْ قالَ: «والإسلامُ مِلَّتُهُ، وأحمدُ اسمُهُ». فهٰذا صريحٌ في اختصاصِ الإسلامِ بملتهِ، وهٰذا الأثرُ أوردَهُ صاحبُ «الشِّفَا» في كتابه[٥٧].

فالعجبُ لمن[٥٨] قرأهُ، وسمعَهُ، ولم يتفطَّنْ لهُ.

وقد أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن أبي العاليَةِ قالَ: «بُعثَ محمد ﷺ بالإسلامِ، وهو ملةُ إبراهيمَ، ومِلَّةُ اليهودِ والنَّصارىٰ اليهوديَّةُ والنَّصرانيَّةُ».

= وقال الخطيب: هو ما أخبر به الصحابي خاصة عن قول النبي ﷺ أو فعله. المنهل الروي: ٤٠، والباعث الحثيث: ٢٤.

(٥٥) وهو ما رواه ابن راهويه في مصنفه، واستشهد به المصنف في الدليل الخامس.

(٥٥م) دلائل النبوة لأبي نُعيم: ١ / ٨٢.

(٥٦) في الأصل وفي الحاوي المطبوع «شعياء» والمثبت من دلائل النبوة.

(٥٧) هو القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، (ت٥٤٤)، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، ولي القضاء في سبتة، له «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» و«شرح صحيح مسلم» وغيرها. الأعلام: ٥ / ٩٩.

(٥٨) في الحاوي المطبوع: «والعجب ممن».

الدلِيلُ العاشِر :

مـا أخرجَـهُ ابنُ أبي حاتمٍ عن ابن عبـاسٍ :[٥٩] «أنَّه كـانَ يقولُ في قـولهِ تعـالىٰ : ﴿وَما جَعَـلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينِ منْ حَـرَجٍ﴾[٦٠] هـو تـوسعـةُ الإسلامِ ، ما جعلَ الله مِنَ التَّوبةِ، ومنَ الكفَّاراتِ » .

وأخرجَ ابنُ أبي حاتِمٍ عن ابن عبَّـاسٍ : «أنَّه قيـلَ لَهُ: أمـا علينا في الدِّين منْ حرجٍ في أنْ نسرقَ أو نزني؟ قال: بلىٰ، قيلَ:﴿وَمَا جعلَ عليكُمْ في الـدين من حرجٍ﴾ قـالَ: الإصرُ الَّـذي كانَ على بني إسـرائيلَ، وُضِـعَ عنكُمْ» . . هٰـذا صريـحٌ في أنَّ الإسلامَ هـو هٰذهِ الشَّـريعةُ السَّهلةُ الـواسِعةُ بخلافِ دينِ اليهوديَّةِ والنصرانِيَّـةِ، المُشْتَمل علىٰ الإصـرِ والضِّيقِ، فإنَّـهُ لا يُسمَّىٰ إسلاماً.

الدلِيلُ الحادِي عشر :

ما أخرجَهُ أحمدُ[٦٢] عن أبي أُمامةَ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بُعِثْتُ بالحنيفيَّةِ السَّمْحَةِ» .

---

(٥٩) في تفسير الطبري: ١٧ / ٢٠٧، والقرطبي: ١٢ / ١٠٠، والدر المنثور: ٦ / ٧٨ .

(٦٠) سورة الحج من الآية ٧٨ .

(٦١) في الدر المنثور: ٦ / ٧٨

(٦٢) المسند. ٥ / ٢٦٦ ، وهٰذا قطعة من حديث رواه الإمام أحمد وهو بتمامه : «عن أبي أمامة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه ، قال: فمرَّ رجل بغار فيه شيء من ماء، قال: فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه من ماء، ويُصيب ما حوله من البقل ويتخلى من الدنيا، ثم قال: لو أني أتيت نبي الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فإن أذن لي فعلت، وإلَّا لم أفعل، فأتاه فقال: يا نبي الله ، إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل، فحدَّثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلَّى عن الدنيا، قال: فقال النبي ﷺ: إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفس =

وأخرجَ ابنُ المنذرِ[٦٣] عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «قيلَ يا رسولَ الله، أيُّ الأَديانِ[٦٤] أحبُّ إلىٰ الله؟ قالَ: الحنيفيَّةُ السَّمحةُ، والحنيفيَّةُ هي الإسلامُ».
وَما أخرجَ ابنُ المنذرِ عن السّدّي قالَ: «الحنيفُ المسلِمُ»[٦٥].

وأخرجَ أبُو الشَّيخِ ابنُ حبّان[٦٦] في تفسيرِهِ في آخرِ سورَة الأنعامِ عن عبدِ الرَّحمنِ بن أبزِيّ: «أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: أصبحتُ علىٰ فطرةِ الإسلامِ، وكلمةِ الإخلاصِ، وعلىٰ ملَّةِ إبراهيمَ، حنيفاً مُسلماً، وما كانَ منَ المشركينَ». فقولُهُ: ﴿حنيفاً مُسلماً﴾[٦٧] تفسيرٌ لقولِه: وعلى ﴿ملَّةَ إبراهيمَ﴾[٦٨] فعُلمَ بمجموعِ ذلكَ اختصاصُ الإسلامِ بملَّةِ النبيِّ ﷺ التي بُعِثَ بِها موافقاً لملَّةِ إبراهيم.

الدلِيلُ الثَّاني عشر:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إبراهيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرانيًا وَلٰكنْ كانَ حنيفاً مُسلماً﴾[٦٩]. هٰذهِ الآيةُ دالَّةٌ علىٰ أنَّ شريعةَ موسىٰ تسمّى اليهوديةَ، وشريعةَ عيسىٰ تُسمَّىٰ النصرانيةَ، وشريعةَ إبراهيمَ تسمَّى الحنيفيَّةَ، وبها

= محمد بيده، لغدوة أو روحةٌ، في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة».
ورواه في المسند: ٦ / ١١٦ وجاء فيه بلفظ: عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة».

(٦٣) رواه البخاري: ١ / ١٦ في الإيمان، باب الدين يسر وقول النبي أحبّ الدين إلى الله الحنيفية السمحة، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ١ / ٢٣٦، وهو في الدر المنثور: ١ / ٣٣٨. وسيمرُّ مرة أخرى. انظر الحاشية ١٢٥.

(٦٤) في الأصل «الإيمان» والمثبت من الحاوي المطبوع.

(٦٥) الحديث في الدر المنثور: ١ / ٣٣٨.

(٦٦) الحديث في المسند: ٥ / ١٢٣، وفي الدر المنثور: ٣ / ٤٠٩ ونسبه للإمام أحمد ولأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن ابزي عن أبيه.

(٦٧) سورة آل عمران من الآية ٦٧.

(٦٨) سورة البقرة من الآية ١٣٥، وآل عمران من الآية ٩٥، والنساء من الآية ١٢٥، والأنعام من الآية ١٦١، والنحل من الآية ١٢٣.

(٦٩) سورة آل عمران من الآية ٦٧.

بُعثَ النبيُّ ﷺ، وهي صريحةٌ في أَنَّ اليهودَ والنصارىٰ لم يدَّعوا قطّ أَنَّ شريعتَهُم تَسمّىٰ الإسلامَ، ولا أنَّ أحداً منهم يُسمّى مُسلماً.

الدلِيلُ الثَّالث عشر :

قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَو نَصارىٰ تهتَدُوا قُلْ بلْ مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً﴾[٧٠] هٰذه الآيةُ كالتي قبلَها في الدِّلالَةِ على ما ذكرنَا ، والصَّراحةِ في أَنّهمْ لم يدَّعُوا اسمَ الإسلامِ لهمْ قطّ .

الدليلُ الرَّابع عشر :

قولُه تعالىٰ : ﴿يا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحاجُّونَ في إبراهيمَ وَمَا أُنزلتِ التَّوارةُ والإنْجيلُ إلاَّ مِنْ بَعدِهِ أَفَلَا تعقِلُونَ﴾[٧١].

أَخرجَ ابنُ جريرٍ، وابنُ المنذرِ عنْ قتادَةَ[٧٢] قالَ:«ذُكِرَ لنَا أَنَّ النبيَّ ﷺ وسلم دعا يهودَ أَهلِ المدينةِ، وهمْ الذينَ حاجُّوا في إبراهيمَ، وزعمُوا أَنه مَاتَ يهودِيًّا، فأكذَبَهُم الله فقالَ: ﴿يا أَهلَ الكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ في إبراهيمَ﴾ وتزعُمُونَ أَنَّهُ كانَ يهودِيًّا أَو نَصْرَانيًّا ﴿ وما أُنزِلَتِ التَّوارةُ والإنجيلُ إلاَّ مِنْ بَعْدِه ﴾ فكانَتْ اليهوديَّةُ بعدَ التَّوارةِ ، وكانتْ النصرانيَّةُ بعدَ الإنجيلِ » .

---

(٧٠) سورة البقرة من الآية ١٣٥ . في النسخ كلها جاءت كلمة «مسلماً» بعد قوله «حنيفاً» وهو تحريف .

(٧١) سورة آل عمران من الآية ٦٥.

(٧٢) الطبري: ٣ / ٣٠٥.

وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ[٧٣] عن السّدّيّ في الآيةِ: قالَ: قالت النّصارىٰ: كانَ إبراهيمُ نصرانياً وقالتِ اليهودُ: كانَ يهوديًا، فأخبرَهُمُ الله أنَّ التوراةَ والإنجيلَ إنما أُنزلَتا مِنْ بعدِه، وبعدَهُ كانَتْ اليهوديَّةُ والنَّصرانيةُ».

هٰذا صريحٌ في أنَّ شريعةَ التَّوراةِ تُسمَّىٰ يهوديّةً، وشريعةَ الإنجيلِ تُسمَّىٰ نَصْرانيةً، وَلَا يُسمَّىٰ واحدٌ منهما إسلاماً.[٧٤]

الدليلُ الخامس عشر:

قولُه تعالىٰ: ﴿وَقُلْ لِلَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ والأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُم فَإِنْ أَسلَمُوا فَقَدِ اهتَدَوا﴾[٧٥]. هٰذهِ الآيةُ دالَّةٌ علىٰ أنَّ الإسلامَ خاصٌ بهذا الدِّينِ، وإلَّا لكانَ أهلُ الكتابِ يقولُونَ إذا قيلَ لَهُم أَأَسْلَمْتُم؟: نحنُ مُسلِمُون، ودينُنا إسلام.

الدليل السادس عشر:

ما أخرجَهُ الشَّيخانِ[٧٦] في حديثِ بدءِ الوَحيِ من قَولِ الرَّاوِي في حقِّ وَرَقة «وكانَ آمرَءًا تَنَصَّر في الجَاهِلِيّة»، فلو كانَ الدِّينُ الحقُّ منْ ملَّةِ عيسىٰ يُسمَّىٰ إسْلَاماً، وصاحبُه مسلمٌ، لقالَ: وكانَ امرءًا أسلَمَ في الجاهِلِيَّة.

---

(٧٣) في الدر المنثور: ٢ / ٢٣٦.

(٧٤) في الأصل «مسلماً» والمثبت من النسخة ب، ومن الحاوي المطبوع.

(٧٥) سورة آل عمران من الآية ٢٠.

(٧٦) صحيح البخاري: ١ / ٣، في بدء الوحي، ومسلم: ١ / ١٣٩، في الإيمان باب بدء الوحي، وانظر اللؤلؤ والمرجان: ١ / ٣٢. ورواه الإمام أحمد في المسند: ٦ / ٢٢٣، ٢٣٣. ورواه النسائي في سننه: ٨ / ٩٧، في الإيمان، باب نعت الإسلام و٨ / ١٠١، في الإيمان، باب صفة الإيمان والإسلام.

الدليل السابع عشر:

مـا أخرجَـهُ ابنُ أبي حاتِمٍ وأبـو الشَّيـخِ ابنِ حبَّـان عنْ عبـدِ الله بنِ مَسعـودٍ قالَ: «تسمَّتِ اليهودُ باليهـودِيَّة بكلمـةٍ قالَهـا موسىٰ: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[77] وتسمَّتِ النَّصـارىٰ بـالنصـرانيَّـةِ بكلمـةٍ قـالَهـا عيسىٰ: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنصارُ اللهِ﴾[78] فتسمَّوا بالنَّصرانيَّةِ».

هٰـذا صريـحٌ في أنَّهم سُمَّوا بهٰـذينِ الاسمَينِ في عهدِ نبيِّهمـا، ولم يُسمَّوا بالمسلمين قطُّ، ولا نُقِلَ ذلكَ عن أحدٍ وَلاَ عنهُمْ، فكيفَ يُدعَىٰ لَهُم وصفٌ شريفٌ، لم يَدَّعوه همْ لأنفسِهم.

الدليل الثامن عشر:

مـا أخـرجَـهُ أبـو داودَ، والنَّسـائيّ، وابنُ حبَّـانٍ في صحيحـهِ[79]، وغيـرهم عن ابنِ عباسٍ قالَ: «كانَتْ المـرأةُ منَ الأنصارِ تكـونُ مقلاةً، لا يكـادُ يعيشُ لَها ولـدٌ، فكانَتْ تجعـلُ علىٰ نفسِها، إن عـاشَ لَها ولـدٌ، أنْ تُهوِّدَهُ، فلما جاءَ الإسلامُ. . . . .» الحديث.

هٰذا صريحٌ في أنَّ دينَ موسىٰ الحقِّ كانَ يُسمَّىٰ يهوديَّةً لاَ إسلاماً.

---

(77) سورة الأعراف من الآية ١٥٦.

(78) سورة آل عمران من الآية ٥٢.

(79) سنن أبي داود: ٣ / ١٣٢، في الجهاد، باب الأسير يكره على الإسلام، وهو بتمامه فيه: كانت المرأة تكون مقلاة، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولدٌ أن تهوّده، فلمَّا أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: «لا ندع أبناءنا» فأنزل الله عز وجلّ: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ». وابن حبان في صحيحه: ١ / ٣٠٢، وتفسير الطبري: ٣ / ١٤، والسنن الكبرى: ٩ / ١٨٦، والدر المنثور: ١/٣٢٩.

الدليل التاسع عشر:

ما أخرجَه مسلمٌ[٨٠]، وغيرُه، عن أبي موسىٰ الأشعريّ: «أنَّ النّبيَّ ﷺ قالَ: «والذي نفْسِي بيدِه لَا يسمعُ بي أحدٌ منْ هٰذهِ الأمةِ، وَلَا يهوديّ وَلَا نصرانيّ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالَّذي أُرْسِلْتُ، إلَّا كانَ من أصحابِ النَّار».

سمَّىٰ ﷺ الواحدَ من أهلِ الكتابِ يهوديًّا أو نصرانيًّا ولم يطلقْ علىٰ أحدٍ منهمْ لفظَ الإسلَامِ في أحاديثَ كثيرةٍ لَا تُحصىٰ.

الدليل العشرون:

إطباقُ ألسنةِ الخلقِ كُلِّهم منَ الصّحابةِ والتابعينَ وأتباعِهم والمجتهدينَ والفُقهاءِ والعُلماءِ على اختلافِ فنونِهم، والمسلمينَ بأسرِهم حتّى النساءِ في قعرِ بُيوتهنَّ والأطفالِ واليهودِ والنَّصارىٰ والمجوسِ وسائرِ الفِرَقِ، حتى الحيواناتِ والحجرِ والشجرِ في آخرِ الزَّمان على تسميةِ منْ كانَ على دينِ موسىٰ يهوديًّا، ومن كانَ علىٰ دين عيسىٰ نَصرانيًّا، ومن كانَ على دينِ نبيِّنا ﷺ مُسلماً لَا يمترِي في ذلك كبيرٌ ولا صغيرٌ، ولا عالمٌ ولا جاهلٌ، ولا مسلمٌ ولا كافرٌ، فترىٰ هٰذا الإطباقَ ناشئاً عن لَاشيءٍ، ومبنيًّا على فَسادٍ، كلّا، بل هوَ الحقُّ المطابِقُ للواقعِ، والله الهادِي للصّوابِ.

---

(٨٠) صحيح مسلم: ١ / ١٣٤، في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، ورواه البزار، أنظر كشف الأستار: ١ / ١٦، ومجمع الزوائد: ٨ / ٢٦١.

ذِكر الأَدِلة الّتي احتجَّ بها لِلقول الآخر:

استندَ إِلىٰ قولـهِ تعالىٰ: ﴿فـأَخْرجْنَـا منْ كانَ فِيهَـا من المؤمِنينَ فما وَجَدْنا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ منَ المُسْلِمِينَ﴾[٨١].

والجـوابُ عنْ ذلكَ: مـا حقَّقَهُ صَـاحبُ القَـولِ الـرّاجـحِ أنَّ هـٰذا الوصفَ كانَ يُطلَقُ فيما تقدَّمَ علىٰ الأَنبياءِ، والبيتُ المذكورُ بيتُ لوطٍ عليهِ السَّلام، ولـم يكنْ فيه مُسلمٌ إلاَّ هوَ وبناتـه، وهو نبيٌّ، فصـحَّ إطلاَقُـه عليهِ بالأَصالةِ، وأُطلقَ على بناتِه، إما علىٰ سبيـلِ التَّغليبِ[٨٢] وإمَّا علىٰ سبيـلِ التبعيَّـةِ، إِذْ لاَ مانـعَ من أَنْ يختصَّ أولادُ الأَنبياءِ بخصـائِصَ، لاَ يُشـارِكُهُم فيها بقيةُ الأُمَّةِ، كما اختُصَّ السَّيد إبراهيمُ ابنُ نبيِّنا ﷺ بأَنَّه لو[٨٣] عـاشَ، لكانَ نبيًّا، وكما اختُصَّت فاطِمَةُ بأَنْ لاَ يتـزوَّجَ عليها، وكمـا اختُصَّت أيضاً بأَنَّها تمكثُ في المسجدِ معَ الحيضِ والجنـابةِ[٨٤]، وكـذلك أَزواجُ النبيِّ ﷺ اختُصّـوا بذلـك[٨٥]، وكذلـكَ عليُّ بن أبي طـالبٍ والحسنُ والحسينُ اختُصّوا بجوازِ المكثِ في المسجدِ مع الجَنـابة[٨٦] كـلُّ ذلكَ علىٰ سبيـلِ التبعيَّةِ للنبيِّ ﷺ، فكذلكَ لاَ مانعَ، منْ أن يُوصَفَ أُولادُ الأنبياءِ بما وُصِفَ

---

(٨١) سورة الذاريات الآيتان ٣٥، ٣٦.

(٨٢) التغليب: من أساليب العرب وذلك «أنهم يغلبون على الشيء ما لغيره، لتناسب بينهما أو اختـلاط، فلهذا قـالوا: الأبـوين، في الأب والأم، والقمرين في الشمس والقمر». أنظر في ذلك مغني اللبيب: ٢ / ٧٦٤، واصـلاح المنطق: ٤٠٠ ـ ٤٠٢، والبرهان في علوم القرآن: ٣ / ٣٠٢

(٨٣) في الحاوي المطبوع «لو كان».

(٨٤) وذلك اعتماداً على الحديث: عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل هٰذا المسجد لجنب ولا حـائض إلا لرسـول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين» رواه السيوطي في الخصائص الكبرى: ٣ / ٢٩٤

(٨٥) وذلك اعتماداً على الحديث: عن أم سلمة أن النبيّ ﷺ قال: «إني لا أحلّ المسجد لجنب ولا لحائض إلاّ لمحمـد وأزواجه وعليّ وفاطمة». رواه السيوطي في الخصائص الكبرى: ٣ / ٢٩٤.

(٨٦) وذلك اعتماداً على الحديث: عن أبي سعيد قـال: قال رسـول الله ﷺ لعلي: «لا يحلّ لأحـد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك». رواه السيوطي في الخصائص الكبرى: ٢٩٣/٣، وهو في مجمع الزوائد: ١١٥/٩. عن خارجة بن سعد عن أبيه سعد. قال الهيثمي: رواه البزار وخارجه لم أعرفه وبقية رجاله ثقات
جاء في الفوائد المجموعة للشوكاني: ٣٣٦: «رواه ابن مردويه عن أبي سعيد مرفوعـاً وفي إسناده: عـطية العـوفي ضعيف، وقد أخرجه الترمذي من طريقه وحسنه، وقال النووي: «إنما حسّنه الترمذي لشـواهده. قـال في اللآلىء: وأخـرجه البيهقي في سننه وورد من طرق ثم ذكر اسناد البزار عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً، ورواه ابن منيع عن جابر في مسنده مرفوعاً.

به آباؤهم، تبعاً لَهُم، وكذلكَ قولُـه تعالىٰ في أولادِ يعقـوبَ عليهِ السَّـلاَمُ: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وإلهَ آبائِكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَنَحنُ لهُ مُسلِمُونَ﴾(٨٧)، إما علىٰ سبيلِ التبعيَّةِ لهُ إنْ لم يكونُـوا أنبياءَ، مـع أنَّ فيهم يُوسفَ، وهـو نبيٌّ قطعاً، فلعلَّهُ هو الَّذي تولّىٰ الجوابَ، فـأَخبرَ عن نَفْسـهِ بالأصـالةِ، وأدرجَ إخوتَهُ معهُ على سبيلِ التَّغليبِ، وإنْ كانُوا أنبياءَ كلَّهم، فلا إشكال.

وكذلك قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يا قَـوْمِ إِنْ كنتُمْ آمنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْـهِ تَوكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُسلِمينَ﴾(٨٨) إمَّا أن يُحمَلَ علىٰ التَّغليبِ؛ فإنَّـهُ خاطَبَهُمْ، وفيهم أَخُوهُ هٰرونُ، ويوشَعُ، وَهُمـا نبيّانِ، فـأَدرجَ بقيَّةَ القـومِ في الوصفِ تغليباً، أو يُحمَلُ علىٰ أنَّ المرادَ: إنْ كنتمْ منقادِينَ لي فيمَا آمرُكُم بهِ.

وهٰـذهِ الآيـاتُ أُورِدَتْ عليَّ مـرَّةً في درسِ التَّفسيـرِ، فـأَجبتُ فيهـا بذلك. ولم أَرَ أَحداً استندَ إليها. نعمْ رأيتُ ابنَ الصَّلاَحِ استنـدَ إلىٰ قولـهِ تعالىٰ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُون﴾(٨٩) وهٰذا مِنْ قولِ إبراهيمَ لبنيهِ، ويعقوبَ لبنيهِ، وفي بني كلٍّ أنبياء، فلا يحسُنُ الاستدلالُ بهِ علىٰ غيرِهم، مع أنَّهُ لا يلزمُ مِنهُ طردُهُ في أمّةِ موسىٰ وعيسىٰ؛ لما علمَ من أنَّ ملةَ إبراهيمَ تُسمَّىٰ الإسلام، وبها بُعِثَ النبيُّ ﷺ، وكانَ أولادُ إبراهيمَ ويعقوبَ علَيها، فصحَّ أنْ يُخاطَبُوا بِذلك، ولا يَتعدّىٰ إلى مَنْ مِلَّتُهُ اليهوديةُ والنَّصرانيَّةُ.

وقد رأَيتُ منْ أُوردَ علىٰ ابنِ الصَّلاحِ في اختيارِهِ ذلكَ قولُه تَعـالىٰ: ﴿ورَضيتُ لَكُمُ الإِسْـلاَمَ دِيناً﴾(٩٠) وقـالَ: فما فـائدةُ ذلـكَ، إذا كانَ كـلٌّ منهُمْ يُسمَّىٰ مُسلِماً.

---

(٨٧) سورة البقرة من الآية ١٣٣ وهي بتمامها: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾.

وفي الحاوي المطبوع قوله: «وإله آبائك» ساقط.

(٨٨) سورة يونس من الآية ٨٤.

(٨٩) سورة البقرة من الآية ١٣٢.

(٩٠) سورة المائدة من الآية ٣.

والتحقيقُ الّذي قامتْ عليه الأدلّةُ ما رجّحناه من الخُصوصيّةِ بالنّسبةِ إلى الأممِ، وإنْ كانَ[91] كلُّ ما وردَ من إطلاقِ ذلكَ فيمنْ تقدّم فإنّما أُطلِقَ على نبيٍّ أو ولدِ نبيٍّ، تبعاً له، أو جماعةٍ فيهمْ نبيٌّ غُلِّبَ لِشرفِه، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وإذْ أوْحَيْتُ إلى الحواريّين أنْ آمنُوا بي وبِرُسُلِي قالُوا آمنّا واشْهَدْ بأنّنا مُسلِمُونَ﴾[92] فإنّ الحوارِيّين فيهمْ أنبياء منهُم الثّلاثةُ[93] المذكُورُون في قولِهِ تعالى: ﴿إذْ جاءهـا المرسلُونَ إذْ أرسلْنا إليهم اثنين فكذّبُوهُما فعزّزْنا بِثالثٍ فَقَالُوا إنّا إليْكُم مُرْسلُون﴾[94]، نصَّ العلماءُ على أنّهم من حَوارِيّي[95] عيسىٰ، وأحدُ قولي العلماءِ أنّ الثلاثةَ أنبياء، ويُرشِّحُه ذكرُ الوَحيِ إليهم.

وقال الرّاغِبُ:[96] في قولِهِ: ﴿يَحكُمُ بِها النبيُّونَ الّذِينَ أسلَمُوا﴾[97]؛ أي الّذِينَ انقادُوا مِنَ الأنبياءِ، الّذينَ ليسوا من أُولي العزمِ، لأُولي العزمِ الّذين يهدُونَ بأمرِ الله ويأتونَ بالشّرائعِ». انتهى.

فصل:

قالَ قائلٌ: من الأدِلّةِ علىٰ ذلكَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وصّىٰ بِهِ نُوحاً...﴾[98] الآية.

---

(٩١) في الأصل وفي النسخة ب: «وإن كل» والمثبت من الحاوي المطبوع.

(٩٢) سورة المائدة الآية ١١١.

(٩٣) جاءت العبارة في الحاوي المطبوع: الحواريين أنبياء منهم فيهم الثلاثة»

(٩٤) سورة يسن الآيتان ١٣، ١٤

(٩٥) في الطبري: ٢٢ / ١٥٦: عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قال: كان بمدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك فبعث الله المرسلين وهم ثلاثة: صادق ومصدوق وسلوم...» وفي ٢٢ / ١٥٥ عن قتادة: ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية مدينة بالروم فكذبوهما فأعزّهما بثالث».

وانظر القرطبي: ١٥ / ١٤.

(٩٦) في المفردات في غريب القرآن: ١ / ٢٤١.

(٩٧) سورة المائدة من الآية ٤٤.

(٩٨) سورة الشورى من الآية ١٣.

وهذا مِن أعجبِ العجبِ، فإنَّ المرادَ من الآيةِ استواءُ الشّرائعِ كلِّها في أصـلِ التّوحيـدِ، وليسَ الإسلامُ اسمـا للتوحيـد فقط، بـل لمجمـوعِ الشريعةِ بفروعِها وأعمالِها.

فالمستدِلُّ بهذهِ الآيةِ، إمَّـا أَنْ يزعُمَ أنَّ الإسـلامَ لا يطلقُ عَليهـا[٩٩] بحالٍ، أو يزعمَ استواءَ الشرائعِ في الفروعِ، . وكـلاهُما جهـلٌ منْ قائلِهِ، ثمَّ لـو قُدِّر الاستـواءُ لم يصحّ[١٠٠] الاستـدلالُ؛ لأنَّ محلَّ النِّـزاعِ في أمرٍ لفظيّ، وهوَ أنَّـهُ هلْ تسمَّىٰ تلكَ الشـرائعُ إسـلاماً أو لا تُسـمَّىٰ ؟ مـع قطعِ النظرِ عن اتفاقِها في الفُروعِ، واختلافِها، وذلكَ راجعٌ إلى قـاعدةِ أنّ الإطـلاقَ متوقفٌ على الوُرودِ، والذي ورد به الحديثُ والأثرُ أنّـه لا يطلقُ على شيءٍ من الشَّرائعِ السَّابقةِ إسلاماً، وإن كـانَ حقًّا، كمَـا أنّه لا يُـطلَق علىٰ شيءٍ من الكتبِ السابقةِ قرآنٌ، وإن كانَ فيهـا معنىٰ الضّم والجمع، وكمَـا أنّه لا يُطلَقُ علىٰ شيءٍ من أواخرِ آيِ القُرآنِ سجعٌ، بـل فواصـل، وقوفـاً معَ مـا وردَ، وكما قال النَّـوويُّ: إنه لا يقـالُ في حقِّ النبيِّ ﷺ عزَّ وجلّ، وإنْ كانَ عـزيـزاً جَليـلاً، ولاَ في حقِّ غيـرِ الأنبيـاءِ ﷺ، وإنْ كـانت الصَّـلاَةُ بمعنىٰ الرّحمةِ، وتُطلَقُ عليهم الرحمةُ. كلُّ ذلكَ وُقوفاً مع الوُرودِ. وقد تقـدَّمَ عن ابنِ زيدٍ أنَّه قالَ: «لم يذكـرِ الله بالإسـلامِ غيرَ هٰـذهِ الأُمّة»[١٠١] وابنُ زيـدٍ أحدُ أئمةِ السَّلفِ العالِمِينَ بالقـرآنِ والتَّفسيرِ، أفتُـراه غَفِلَ عن هٰـذهِ الآياتِ الّتي استدلَّ بِها قائلُ هٰذهِ المقالَة ؟ كلَّا، لم يَغفلْ عنْها، بل علمَ تأويلَهـا، واطّلَع على مدركِ الجوابِ عنها، فنفَىٰ وهوَ آمِنٌ منْ إيرادِها عليـهِ، وأعظمُ من ذلـكَ رسـولُ الله ﷺ أعلمُ خلْقِ الله بكتـابِ الله، حيـث نصَّ على اختصاصِ الإسلام بأُمَّتِهِ، وذكرَ ذلك لليهوديّ مبيِّناً بِهِ تمييزَ أُمتهِ على سائرِ

---

(٩٩) في النسخة ب وفي الحاوي المطبوع «على الأعمال».

(١٠٠) في الأصل لم يصلح والمثبت من النسخة ب، ومن الحاوي المطبوع.

(١٠١) في تفسير الطبري: ١٧ / ٢٠٨، والدر المنثور: ٦ / ٨١ .انظر الحاشية ١٥ .

الأُممِ[١٠٢]، فلولاَ أنَّـه ﷺ فهِم ذلك من الايـات الـدَّالَّـة عليـه، وعَلِم أنَّ الآيَ الأُخرَ لاَ تُعارِضُها، لم يَقُلْ ذلكَ. ولوْ كانَ يُطلَقُ على الأُممِ السَّـابقةِ مُسلِمُونَ، لكانَ اليهوديُّ يقولُ له: وأُمَّةُ مـوسى أيضاً مسلمـون، فلاَ مـزية لأُمَّتِكَ عليهِم.

ومن العجب من يستـدِلُّ بـآيـاتِ القـرآنِ، وهــو غيـرُ متضلِّعٍ من الحديثِ، ومن المعلومِ أنَّ في القرآنِ المجملَ والمبهمَ والمحتملَ، وكـلٌّ من الثَّلاثةِ محتاجٌ إلى السُّنَّةِ تبيِّنُهُ وتُعيِّنُه وتوضِّحُ المرادَ منهُ، وقـد قالَ عمـرُ ابن الخطَّابِ: «إنَّهُ سيأتي قومٌ يُجـادِلُـونَكُم بشُبُهـاتِ القـرآنِ، فَخُـذُوهم بالسُّنَنِ، فإنَّ أصحابَ السننِ أعلمُ بكتابِ الله».

وأخرجَ ابنُ سعد[١٠٣] عن ابن عبّاسٍ: «أنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ أرسَلَهُ إلى الخـوارجِ فقــالَ: اذهبْ إليهم، فخـاصِمْهم، ولا تحـاجَّهم[١٠٤] بالقُرآنِ؛ فإنَّه ذُو وجوهٍ، ولكنْ خاصِمْهُم بـالسُّنَّةِ، فقـالَ له ابنُ عبّـاسٍ: يا أميرَ المؤمنينَ، أنا أعلمُ بكتـابِ الله منهُم، في بيوتِنـا نزَلَ، قـالَ: صدقتَ ولكنَّ القـرآنَ حمَّالٌ ذو وجـوهٍ، تقولُ ويقـولونَ، ولكن حـاجَّهم بـالسُّنَنِ، فـإنَّهم لن يجدُوا عنهـا مَحيصاً، فخـرجَ إليهم فحاجَّهُم بـالسُّنَنِ، فلم تبقَ بأيديهِمْ حُجَّةٌ».

وقالَ يحيىٰ بنُ أبي كثيرٍ:[١٠٥] «السُّنَّةُ قاضِيَةٌ على القرآنِ؛ أيْ مُبيِّنَـةٌ له ومُفَسِّرَةٌ».

---

(١٠٢) سبق ذكره، انظر الدليل الخامس

(١٠٣) الطبقات الكبرى: ٣ / ٣٢. وجاء فيه: «وبعث إليهم عليٌّ ابنَ عباس وغيره فخاصمهم وحاجّهم فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم على رأيهم».

(١٠٤) في الحاوي المطبوع: «حاججهم».

(١٠٥) هو يحيى بن صالح الطائي بالولاء اليمامي أبو نصر ابن أبي كثير، عالم أهل اليمامة في عصره، كان من موالي بني طيء من أهل البصرة، وكان من ثقات أهل الحديث، الأعلام ٨ / ١٥٠. وانظر الطبقات الكبرى: ٥ / ٤٠٤.

وقـالَ الإمام فخـرُ الدِّينِ:[١٠٦] «أنـزلَ القرآنُ على قسمينِ: محكمٌ ومتشـابهٌ؛ ليكـونَ فيه مجـالٌ لكلِّ ذي مـذهبٍ، فينظرَ فيـهِ جميـعُ أربـابِ المـذاهبِ، طمعاً أنْ يجـدَ كـلٌّ فيـهِ مـا يؤيِّـدُ مـذهبَـهُ، وينصرُ مقـالَتـهُ، فيجتهدُون في التأمُّلِ فيهِ، فإذا بالغُوا في ذلكَ، صارتِ المحكَماتُ مفسِّرةً للمتشابِهاتِ. وبهٰذا الطريقِ يتخلَّصُ المبطلُ من باطلهِ، ويصـلُ[١٠٧] إلىٰ الحقِّ، ولو كانَ القـرآنُ كلُّه محكماً، لمـا كانَ مـطابقاً إلَّا لمـذهبٍ واحدٍ، وكانَ بصريحهِ مبطِلاً لكلِّ ما سوىٰ ذلكَ المذهبِ، وذلكَ ممـا يُنفِّرُ أربـابَ سائرِ المذاهبِ عن قَبُولهِ، وعن النَّظرِ فيهِ».

قـالَ: «وأيضاً إذا كـانَ القـرآنُ مشتَمِـلاً على المتشـابهِ، افتقـرَ إلى العلمِ بـطريقِ التأويـلاتِ وترجيـحِ بعضِهَـا على بعضٍ، وافتقـرَ في تعلُّم ذلـكَ إلىٰ تحصيلِ علومٍ كثيـرةٍ من علمِ اللُّغةِ والنَّحـوِ والمعـاني والبيـانِ وأُصولِ الفقهِ، وغير ذلك. وفي ذلك مزيدُ مشقَّةٍ في الوصولِ إلىٰ المـرادِ منهُ، وزيادةُ المشقَّـةِ توجِبُ مـزيدَ الثَّـوابِ، ولو لَم يكنِ الأَمـرُ كذلـك، لم يحتجْ إلىٰ تحصيلِ هٰذهِ العلومِ الكثيرةِ، فلم يكنْ فيهِ مشقَّةٌ، تُوجِبُ مزيدَ الثَّوابِ، وكانَ يستـوي في إدراكِ الحقِّ منهُ الخـواصُّ والعوامّ». هٰـذا كلامُ الإمامِ فخرِ الدِّين.

قلتُ: فـإذا كانَ كـذلكَ فكيفَ يحـلُّ لمنْ لم يُتقنْ[١٠٨] واحـداً من العلومِ المشتَرطَةِ للتكلُّمِ[١٠٩] في القرآنِ، وعدَّتُها خمسةَ عشرَ، أنْ يتجرَّأَ على الاستـدلالِ بآيـاتِ القرآنِ على حكمٍ من الأَحكـامِ أو على أمـرٍ من الأُمورِ جاهلاً بطريقِ الاستدلالِ، عاجزاً عن تحصيلِ شروطهِ.

---

(١٠٦) هو محمد بن عمر الرازي صاحب التفسير المسمى مفاتيح الغيب، توفي سنة ٦٠٦هـ، ترجمته في ابن خلكان ١ / ٤٧٤.

(١٠٧) في النسخة الأصل «ويتصل»، والمثبت من الحاوي المطبوع.

(١٠٨) في الحاوي المطبوع: «يتيقن».

(١٠٩) في الحاوي المطبوع: «التكلم».

ومثلُ هٰذا هو الَّذي وردَ فيه الحديثُ: «من قال في القران بغيرِ علمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مقعدَهُ مِنَ النَّارِ»[١١٠]، وفي روايةٍ «فقدْ كفر».

والعجبُ أنَّه يعمدُ إلىٰ الاستدلالِ بآياتٍ معَ قطعِ النظرِ عنْ مُعارِضِها، وعنِ النَّظرِ فيها، بل هي مصروفةٌ عنْ ظاهرِها أوْ لاَ.

وقد أوجبَ أهلُ الأصولِ على المجتهدِ المستَدِلِّ بآيةٍ أو حديثٍ، أن يبحثَ عن المُعارِضِ وجَوابِهِ، وعنِ الَّذي استَدلَّ به، هلْ معهُ قرينةٌ تَصرِفُهُ عن ظاهرِه، وهٰذا نطحَ معَ النَّاطِحينَ من غيرِ تأمُّلٍ ولا مُراعاةٍ لشرطٍ، من الشُّروطِ، فلو استحيىٰ هٰذا الرجلُ منَ الله، لَوَقَفَ عندَ مرتبتِهِ وهيَ التقليدُ، وتَركَ الاستدلالَ لأهلِهِ. قالَ الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وإلى أُولي الأمرِ منهمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَه مِنْهُم﴾[١١١]، وأُولو الأمرِ همُ المجتَهِدُونَ، كما قالَ ابنُ عبَّاسٍ، وجابرِ بن عبدِ الله، ومجاهد، وأبو العاليةِ، والضَّحاكُ، وغيرُهم: «أُولو الأمرِ هُمْ أُولو الفقهِ، وأُولو الخُبْر» ولفظُ مجاهد «هم الفقهاءُ والعُلَماءُ».[١١٢].

وأخرجَ ابنُ جريرٍ عن أبي العاليةِ[١١٣] في قولِه تَعالىٰ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطيعوا الله وأَطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الأمرِ منكُمْ﴾[١١٤] قالَ: «همْ أهلُ العِلمِ» ألا ترىٰ أنَّه يقولُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ وإلى أُولي الأمرِ منهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَه منهم﴾[١١٥].

---

(١١٠) سنن الترمذي : ٨/١٤٦ «في كتاب تفسير القرآن ، ما جاء في الذي يفسر القران برأيه . قال أبو عيسى : « هذا حديث حسن صحيح » .

(١١١) سورة النساء من الآية ٨٣

(١١٢) الطبري: ٥ / ١٨٢، ٥ / ١٤٩ . والقرطبي: ٥ / ٢٥٩، والدر المنثور: ٣ / ٥٧٣، ٣ / ٥٧٥ .

(١١٣) الطبري: ٥ / ١٤٩، والدر المنثور: ٣ / ٥٧٥ .

(١١٤) سورة النساء من الآية ٥٩.

(١١٥) سورة النساء من الآية ٨٣.

ومعلومٌ أنّ لفظ الفُقهاء والعُلماء، إنّما يُطلَقُ على المجتهدِينَ، وأمّا المقلّد، فلا يُسمّى فقيهاً، ولا عالماً، كما نصَّ عليه أهلُ الفقهِ والأصولِ، وامتناعُ إطلاق الفقيه والعالم على المقلِّدِ، كامتناع إطلاقِ لفظِ المسلمِ على اليهوديِّ والنَّصرانيّ، خُصُوصيةٌ منَ الله ﴿لا يُسْألُ عمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْألُون﴾[116].

فصل:

ثم ظهر لي دليلُ حادٍ وعشرونَ، وهوَ ما أخرجَهُ أحمدُ[117] وغيرُه عن عبدالله بنِ ثابتٍ قالَ: «جاءَ عمرُ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله إني مررْتُ بأخٍ لي منْ قُريظَة، فكتبَ لي جوامعَ منَ التوراةِ، لِعَرضِها عليكَ، فتغيَّر وجهُ رسولِ الله ﷺ فقالَ عمرُ: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلامِ ديناً، وبمُحمَّدٍ رسُولاً، فسُرِّيَ عن رسولِ الله ﷺ وقالَ: والَّذي نفسُ مُحمَّدٍ بيدِه، لو أصبحَ فيكُمْ مُوسى، ثمّ اتَّبعتمُوه، لضَلَلْتُم، إنكُم حظّي من الأُمم، وأنا حظُّكُم من النبيِّين».

هذا الحديثُ يدلُّ على أنَّ شريعةَ التَّوراةِ لا تُسمَّى إسلَاماً؛ لأنَّ عمرَ لمّا رأى غضبَ النبيِّ ﷺ من كتابتِهِ جوامعَ منَ التَّوراةِ، بادرَ إلى قولِهِ: «رَضينا بالإسلامِ ديناً»؛ ليبرِّىءَ نفسَهُ من الرِّضى بشريعةِ التَّوراةِ وأتباعها، فلمّا قالَ ذلكَ، سُرِّيَ عن النبيِّ ﷺ؛ لحصولِ المقصودِ من عمرَ، وهو اقتصارُهُ على شريعةِ الإسلامِ، وإعراضه عن شريعةِ التَّوراةِ.

---

(116) سورة الأنبياء الآية ٢٣

(117) المسند: ٣ / ٤٧٠، ٤ / ٢٦٥، ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة ١ / ٥٠، وفتح الباري ١٧ / ١٠٠، في الاعتصام بالسنة، باب قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب. ومجمع الزوائد ١ / ١٧٤، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي ١ / ٣٦٥

دليل ثانٍ وعشرون:

وهو قولُه ﷺ لجبريلَ وقد سألَهُ ما الإسلامُ ؟ فقال: «الإسلامُ أنْ تشهدَ أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله، وتقيم الصَّلاةَ المكتوبةَ، وتؤتي الزكاةَ المفروضة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيتَ»[118] زاد في رواية «وتغتسِلَ من الجنابة»[119].

هـذا[120] صريح في أنَّ الإسلامَ مجموعُ هذهِ الأعمالِ، وهذا المجموعُ مخصوصٌ بهذه الأمةِ، فإنَّ «اللاَّم» في الصلاةِ المكتوبة للعهدِ[121]، وهي الخمسُ، ولم تكتب الخمسُ إلاَّ على هذهِ الأمَّة، وصومُ رمضانَ من خصائصِ هذهِ الأمةِ كما أخرجَهُ ابنُ جريرٍ عن عطاءٍ[122]. والحجُّ والغسلُ من الجنابةِ من خصائِصها أيضاً، كما تقدَّمَ في أثرِ وهبٍ[123]، فدلَّ على أنَّ منْ لم يعملْ هذهِ الأعمالَ، لا يسمَّى مسلماً، والأُممُ السَّابِقَةُ لم تعملْها، فلا يُسَمَّون مُسلِمينَ.

تحقيق:

فإنْ قلتَ ما تحريرُ المعنىٰ في التَّخصيصِ بالتَّسميةِ ؟ قلتُ: فيه معانٍ:

---

(١١٨) رواه البخاري: ١ / ١٩، في الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام، وصحيح مسلم: ١ / ٢٤٥، في الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، والترمذي: ٧ / ٢٧١، في الإيمان، ما جا في وصف جبريل للنبي، وابن ماجة: ١ / ٢٤، في الإيمان، المقدمة، باب من الإيمان، والنسائي. ٨ / ٩٧، في الإيمان، باب نعت الإسلام، و٨ / ١٠١ في الإيمان، باب صفة الإيمان والإسلام، والمسند: ١/٢٧، ٥٢، ١٦٢، ٣١٩، ٢/١٠٧، ٤٢٦..
ومجمع الزوائد: ١ / ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، وكشف الأستار: ١ / ٢٠.

(١١٩) مجمع الزوائد: ١/٤١.

(١٢٠) في الحاوي المطبوع «وهو».

(١٢١) ال العهدية: من أقسام «ال» التي هي حرف تعريف العهدية وهي التي عُهد مصحوبها بتقدم ذكرها، أو بحضوره حسّاً، أو علماً، انظر الجنىٰ الداني: ١٩٤.

(١٢٢) في تفسير الطبري ٢/٣٧٥.

(١٢٣) سبق ذكره في الحاشية ٦.

أحدُها : أنَّ الإسلام اسمٌ للشَّريعةِ السَّمحةِ السَّهلة ، كمـا قال ﷺ : «بُعثْتُ بـالحنيفيَّةِ السَّمْحـة»[١٢٤] وقـالَ : «أحبُّ الأديـانِ إلىٰ الله الحنيفيَّـةُ السَّمحـة»[١٢٥] وقال ابنُ عبـاسٍ في قولـه تعالى : ﴿وما جعل عليْكُمْ في الدِّين من حرَجٍ﴾[١٢٦]، توسعةُ الإسلام ، ووضعُ الإصرِ الَّذي كـان علىٰ بني إسرَائيل[١٢٧] وشـريعةُ اليهـودِ والنَّصارى لا سهـولَةَ فيهـا، بل هي في غايةِ المشقَّةِ، والثِّقلِ ، كما هو معلومٌ من قـوله تعـالى : ﴿ربَّنا ولا تحمِـلْ علينَا إصراً كما حملتَهُ علىٰ الَّـذِينَ من قبلِنا﴾[١٢٨] وغيـر ذلكَ ؛ فلذلـكَ لا تُسمَّىٰ إسلاماً.

المعنى الثاني : أنَ الإسلامَ اسمٌ للشَّريعةِ المشتملَةِ، على فَـواضِلِ العباداتِ، من الجهادِ، والحجِّ، والوُضُـوءِ، والغُسلِ منَ الجنـابة، ونحـوِ ذلكَ .

وذلكَ خاصٌ بهـذهِ الأُمَّةِ، لم يُكتبْ علىٰ غيـرهَا مِن الأُممِ ، وإنَّمـا كُتِبَ علىٰ الأَنبيـاءِ فقط، كمـا تقــدَّمَ في أثـرِ وهبٍ[١٢٩] : «أعــطيتُهمْ من النَّوافلِ مِثلمَـا أعطيتُ الأنبيـاءَ، وافترضْتُ عليهِم الفَـرائضَ التي افترضْتُ علـى الأَنبيـاءِ والرُّسـلِ ، فلذلكَ سُمِّيتْ هـذهِ الأمَّةُ مسلمينَ، كمـا سمَّىٰ بذلكَ الأَنبياءَ والرسلَ، ولم يسمِّ غيرَها منَ الأُممِ» .

---

(١٢٤) سبق تخريجه في الحاشية ٦٢ .

(١٢٥) الحديث رواه البخاري : ١ / ١٦ في الإيمان باب الدين يسر وقول النبي : «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» ورواه الإمام أحمد في المسند. ١ / ٢٣٦، والدر المنثور ١ / ٣٣٨. وانظر الحاشية ٦٢ .

(١٢٦) سورة الحج من الآية ٧٨

(١٢٧) الحديث في الدر المنثور: ٦ / ٧٨.

(١٢٨) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ .

(١٢٩) الحديث في البداية والنهاية: ٦ / ٦٢، ودلائل النبوة للبيهقي : ١ / ٣٣٧، والدر المنثور: ٣ / ١٤٣ . وانظر الحاشية ٦ .

ويؤيدُ هذا المعنىٰ ما أخرجَهُ أبو يَعلىٰ(١٣٠) من حديثِ عليٍّ مرفوعاً: «الإسلامُ ثمانيةُ أسهمٍ: شهادةُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ الله، والصلاةُ، والزكاةُ، والحجُّ، والجهادُ، وصومُ رمضانَ، والأمرُ بالمعروفِ، والنهيُ عن المنكرِ». وما أخرجَهُ ابنُ جريرٍ في تفسيرِهِ والحاكمُ في المستدركِ(١٣١) عن ابنِ عبَّاسٍ قالَ: «ما ابتليَ أحدٌ بهٰذا الدِّين فقام بهِ كلِّه إلاّ إبراهيمُ، قال تعالىٰ: ﴿وإذِ ابتَلىٰ إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ فأَتَمَّهُنَّ﴾(١٣٢) قيلَ: ما الكلماتُ؟ قالَ: «الإسلامُ ثلاثونَ سهماً: عشرٌ في قولِهِ تعالىٰ: ﴿التائبونَ العابدونَ...﴾(١٣٣) إلى آخرِ الآيةِ، وعشرٌ في أوَّلِ سورةِ: ﴿قد أفلحَ﴾(١٣٤)، و﴿سألَ سائلٌ﴾(١٣٥)، وعشرٌ في الأحزابِ: ﴿إنَّ المسلمينَ والمسلماتِ﴾(١٣٦) إلىٰ آخرِ الآيةِ، فأتمهنَّ كلَّهُنَّ، فكتبَ لهُ براءةً، قال تعالىٰ: ﴿وإبراهيمُ الَّذِي وَفَّىٰ﴾(١٣٧).

وأخرجَ الحاكمُ من وجهٍ آخرَ(١٣٨) عن ابن عبَّاسٍ قالَ: «سهامُ الإسلامِ ثلاثونَ سهماً لم يُتمَّها أحدٌ إلاَّ إبراهيمُ ومحمَّدٌ عليهما السَّلامُ»، فعرفَ بذلكَ أنَّ الإسلامَ اسمٌ لمجموعِ هٰذهِ السهامِ، ولم تُشرَّع كلُّها إلاَّ

---

(١٣٠) الحديث في القرطبي: ٣ / ٢٣، ومصنف ابن أبي شيبة: ١١ / ١١.

(١٣١) المستدرك: ٢ / ٥٥٢، والطبري. ١ / ٥٢٤.

(١٣٢) سورة البقرة من الآية ١٢٤.

(١٣٣) سورة التوبة من الآية ١١٢ وهي تمامها: ﴿التائبون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾.

(١٣٤) سورة المؤمنون، والمقصود بها الآيات ١ ـ ٩.

(١٣٥) سورة المعارج الآية الأولى، والمقصود بها الآيات ٢٢ ـ ٣٤.

(١٣٦) سورة الأحزاب من الآية ٣٥.

(١٣٧) سورة النجم الآية ٣٧.

في تفسير القرطبي: ١٧ / ١١٣ في تفسير الآية: «عن أبي أمامة: هل تدرون ما وفّى؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: وفّىٰ عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار» وأورد المصنف هذا الحديث في رسالته «جزء في صلاء الضحى» ص٣٤، بتحقيقنا.

(١٣٨) المستدرك: ٢ / ٤٧٠، وتفسير الطبري: ١ / ٥٢٤.

فِي هٰذِهِ المِلَّةِ، ومِلَّةِ إبراهيمَ؛ ولهذا أمرَ النبيَّ ﷺ في غيرِ ما آيةٍ من القرآنِ باتِّباعِ مِلَّةِ إبراهيمَ(١٣٩)، وهي الحنيفيَّةُ.

المعنى الثالث: أنَّ الإسلامَ مَدارُ معناهُ على الانقيادِ والإذعانِ، ولم تذعِنْ أُمَّةٌ لنبيِّها كما أذعنتْ هٰذه الأُمَّةُ؛ فلذلكَ، سُمّوا مسلمينَ، وكانتِ الأنبياءُ تُذعِنُ للرُّسلِ الَّذينَ يأتُونَ بالشرائعِ؛ كما تقدَّمَ في عبارةِ الرّاغبِ(١٤٠) فسُمّوا مسلمينَ. وكانتْ الأُممُ كثيرةً(١٤١) الاستعصاءِ على أنبيائِهِم، كما دلَّتْ على ذلكَ الأحاديثُ والآثارُ، منها حديثُ: «إنّما هلكَ منْ كانَ قبلكُم بِكثرةِ سُؤالِهِمْ، واختلافهِمْ على أنبيائِهِمْ»(١٤٢) وقدْ قالَ المقدادُ يومَ بَدرٍ(١٤٣): «لا نقولُ كما قالَ بنو إسرائيلَ لموسىٰ: ﴿اذهَبْ أنتَ وربّكَ فقاتِلَا إنا هٰهُنا قاعِدونَ﴾(١٤٤)، ولكنْ اذهبْ أَنتَ وربُّكَ فقاتِلَا إنّا معَكُمْ مقاتِلُونَ، والله لو سرتَ بنا إلىٰ بَرْكِ الغمادِ، لاتَّبعنَاكَ»، وفي لفظٍ: «لو خضتَ بنا البحرَ لخُضْنَاه معَكَ».

---

(١٣٩) الآيات التي أمر الله بها النبيّ ﷺ: ما جاء في الآية ١٣٥ من سورة البقرة: ﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفاً﴾ وما جاء في الآية ١٢٣ من سورة النحل: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين﴾ وما جاء في الآية ٩٥ من سورة آل عمران: ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾.

(١٤٠) انظر الهامش: ٩٦.

(١٤١) في الأصل «كثيري» والمثبت من الحاوي المطبوع. ومن النسخة (ب).

(١٤٢) رواه مسلم: ٤ / ١٨٣٠، في الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله، وابن حبان: ١ / ١٨٠، والبخاري: ٩ / ١١٦، في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن النبي. ومسلم. ٢ / ٩٧٥ في الحج، باب فرض الحج في العمر مرة، والترمذي: ٥ / ٤٧، في العلم، باب الانتهاء عما نهى عنه رسول الله ﷺ، والنسائي: ٥ / ١١٠ في المناسك، باب وجوب الحج، والإمام أحمد في المسند: ٢ / ٢٤٧، ٢٥٨، ٤٢٨...».

(١٤٣) الخبر في سيرة ابن هشام: ٢ / ٦١٥ وجاء فيه " لو سرت بنا إلى بِرْك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له. وبرك الغماد: موضع بناحية اليمن. وقيل هو أقصى حجر، وقال السهيلي: وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحبشة. الروض الأنف: ٢/ ٦٥.

وورد في الطبقات الكبرى: ٣ / ١٦٢ وأسد الغابة: ٤ / ٤٧٦.

(١٤٤) سورة المائدة من الآية ٢٤.

فلذلكَ اختصتْ هٰذهِ الأمةُ، بأن سُمُّوا مُسلمين، من بينِ سائرِ الأممِ، وكلُّ ما وقعَ في عبارةِ السَّلفِ من قولِهم الإسلامُ دينُ الأنبياءِ ونحوه، فمرادُهم بهِ دينُ الأنبياءِ وحدَهُم، دونَ أُممِهم؛ لما تقدَّم تقريرُه على حدِّ قولِهِ ﷺ: «هٰذا وُضوئي، ووضوءُ الأنبياءِ منْ قبْلي»(١٤٥).

فصل:

لمّا فرغتُ من تأليفِ هٰذهِ الكراسةِ، واضطجعتُ على الفراشِ للنَّومِ، وردَ عليَّ قولُه تعالىٰ: ﴿الَّذينَ آتيناهُمُ الكتابَ مِن قبلِهِ هُمْ بهِ يُؤْمِنُونَ وإذا تتلىٰ عليهمْ قَالُوا آمنَّا بهِ إنَّهُ الحقُّ من ربِّنا إنَّا كنَّا من قبلِهِ مسلمينَ﴾(١٤٦) فكأنما أُلقِيَ عَليَّ جبلٌ، فإنَّ هٰذه الآيةَ ظاهِرُها الدَّلالَةُ للقولِ بعدمِ الخصوصيَّةِ، وقد أفكرت فيها ساعةً، ولم يتَّجهْ لي شيءٌ، فلجأتُ إلى الله تعالىٰ، ورجوتُ أن يفتحَ بالجوابِ عنها، فلما استيقظتُ، وقتَ السَّحرِ، إذا بالجوابِ قد فتح، فظهرَ لي عنها ثلاثةُ أجوبةٍ:

الأول: أنَّ الوصفَ في قولِهِ «مسلمينَ» اسم فاعلٍ، مراد بهِ الاستقبالُ، كما هو حقيقةٌ فيهِ، لا الحالُ، ولا الماضي، الذي هو مجازٌ، والتمسُّكُ بالحقيقةِ هو الأصلُ، وتقديرُ الآيةِ: إنا كنا من قبلِ مجيئهِ عازمينَ على الإسلام بهِ، إذا جاءَ؛ لما كنَّا نجدُه في كتبِنا من نعتِهِ ووصفِهِ، ونظيرُه قولُه تعالىٰ: ﴿إنَّك مَيِّتٌ وإنَّهم مَيِّتُونَ﴾(١٤٧) فالوصفانِ مرادٌ بهما

---

(١٤٥) الحديث رواه ابن ماجة: ١ / ١٤٥، في الطهارة، باب ما جاء في الوضوء مرة ومرتين وثلاثاً، وهٰذا جزء من حديث هو تمامه في ابن ماجة: «عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ دعا بماء فتوضّأ مرة مرة فقال هٰذا وظيفة الوضوء، أو قال: وضوءُ منْ لم يتوضأه لم يقبل الله له صلاة، ثم توضّأ مرتين مرتين، ثم قال: هٰذا وضوءُ من توضّأه أعطاه الله كفلين من الأجر، ثم توضّأ ثلاثاً فقال: هٰذا وضوئي ووضوء المرسلين من قبلي»

ورواه ابن المنذر في الأوسط: ١ / ٤١٠، ومجمع الزوائد: ١ / ٢٣١.

(١٤٦) سورة القصص، الآيتان ٥٢، ٥٣

(١٤٧) سورة الزمر الآية ٣٠.

الاستقبالُ ؛ أيْ ستموتُ، وسيموتونَ، وليسَ المرادُ بهما الحالُ قطعاً، كما هـو ظاهـرٌ، فكذلـكَ المرادُ في الآيـةِ: إنَّا كنَّـا من قبلهِ نـاوينَ أن نُسْلمَ إذا جـاءَ، ويرشِّحُ هذا الجـوابَ أنَّ السيـاقَ يـرشـدُ إلىٰ أنَّ قصـدَهُم الإخبـارُ بحقيقةِ القرآنِ، وأنَّهمْ كانُوا على قصدِ الإسلامِ به، إذا جاءَ به النبيُّ ﷺ، لمـا كانَ عنـدهُم من صفاتِـهِ، وظهرَ لهُمْ منْ دنُـوِّ زمانـهِ، واقترابِ بعثتِـهِ، وليسَ قصدُهم الثناءَ على أنفسِهِمْ في حـدِّ ذاتِهِم، بأنَّهم كـانوا علىٰ صفـةِ الإسلامِ أوْ لاَ، فإنَّ ذلكَ ينبو عنهُ المقامُ، كما لاَ يَخفىٰ.

الجـوابُ الثـاني: أن تقـدَّرَ في الآيـةِ إنَّـا كُنَّـا منْ قبلهِ بـهِ مُسلمينَ فـوصفُ الإسلامِ سببُـه القرآنُ، لا التـوارةُ والإنجيلُ، ويـرشحُ ذلـك ذكرُ الصلةِ في الآيةِ الأُولىٰ، حيثُ قالَ: ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنونَ﴾ فدلَّ على أنَّ الصلةَ مرادةٌ في الثانيـةِ أيضاً، وإنَّمـا حُذِفَتْ؛ كـراهةً لتكـرَارِها في الآيـةِ مرَّتين، حيثُ ذكرتْ في قولـهِ ﴿ قالُوا آمنا بهِ ﴾ فكرِه إعـادتها مـرَّةً أُخرىٰ في الآيـةِ وحذفَتْ إزالة لتعلُّقِ التكرارِ.

الجـوابُ الثالث: أنَّ هٰـذا الوصفَ منهمْ بنـاءً على ما هـوَ مـذهبُ الأشعريِّ من أنَّ من كتبَ الله أنْ يموتَ مؤمناً فهو يُسمَّىٰ عند الله مؤمناً، ولو في حالةِ كفـرٍ سبقتْ منه، وكـذا بالعكسِ، والعيـاذُ بالله، وإنَّمـا لم يُطلقْ عليهِ هٰذا الوصفُ عندنا؛ لعدمِ علمنا بالخـواتيمِ والمستقبلاَتِ، فكـذلكَ هٰؤلاءِ، لمَّا ختمَ لَهُم بالدُّخولِ في الإسلامِ، وصفُوا أنفسَهُمْ بهِ، من أوَّلِ أمرِهم؛ لأنَّ العبرةَ في هٰذا الوصفِ بـالخاتمـةِ. وإذَا كانَ الكـافرُ المشـركُ يوصفُ في حالةِ شركهِ بأنَّـه مؤمنٌ عند الأشعـريِّ، لما قـدّرَ لهُ منَ الإيمـانِ عندَ الخاتمةِ، فلأنْ يوصفَ بالإسلامِ مَنْ كان علىٰ دين حقٍّ، لمـا قدّرَ لـهُ من الدّخولِ في الإسلامِ عندَ الخاتمةِ من بابٍ أولىٰ.

وهـذا معنىً دقيقٌ، استفـدْنَـاهُ في هٰـذهِ الآيـةِ، من قـواعـدِ علم الكـلَام ، وبهٰذا يُعـرفُ أنَّ من لم يُتقن العلومَ كلَّها، ويـطَّلع علىٰ مذاهبِ علماءِ الأُمّةِ ومدارِكِها وقواعِدِهـا، لم يمكنْهُ استـدلالٌ ولا استنباطٌ، وهٰـذا أمرٌ ليسَ بالهيِّنِ.

لَا تحسَبِ المجـدَ تمـراً أنتَ آكِلُهُ لنْ تبلغَ المجـدَ حتّى تلعـقَ الصَّبِـرا[148]

فصل:

حيثُ ذكرَ الله هذهِ الأُمّةَ في القرآنِ ذكـرَها بـالإِسلامِ ، أو الإِيمـانِ، خـطاباً وغيبـةً، كقولـه: ﴿هُوَ سمَّـاكُمُ المُسْلِمينَ﴾[149] ﴿يـا أيُّهـا الَّـذينَ آمَنُوا﴾[150] ﴿أيُّها المؤمنونَ﴾[151] وحيثُ ذكرَ الأُممَ السـابقةَ لم يصفْهُم قطُّ بـإسلامٍ، لَا إنْ ذَمَّهُم، ولا إنْ مـدحَهُم، بل قـالَ: ﴿إنَّ الـذينَ آمنُـوا والذينَ هادُوا والنَّصارَىٰ والصَّابئينَ﴾[152] وقالَ: ﴿قُلْ يا أيُّها الَّذِينَ هادُوا إنْ زعمتُم﴾[153] وقـالَ: ﴿يحكمُ بهـا النبيُّـونَ الَّـذينَ أسلَمُـوا للَّذينَ هـادُوا﴾[154] وقالَ: ﴿لَتجِـدَنَّ أشـد النـاسِ عـداوةً للّذين آمنُـوا اليهـودَ والذينَ أشرَكوا ولَتجدَنَّ أقربَهُمْ مودَّةً لِلَّذينَ آمنُـوا الَّذِينَ قـالوا إنَّـا نصارىٰ ذلكَ بأنَّ منهمْ قسِّيسِينَ ورُهْبَانا﴾[155] الآيات.

---

(١٤٨) البيت في ديوان الحماسة بشرح التبريزي: ٢ / ٢٢٥، منسوب لرجل من بني أسد، وجاء قبله بيتان هما:

دبت للمجد والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا
فكابدوا المجد حتى ملّ أكثرهم وعانق المجد من أوفى ومن صبرا

(١٤٩) سورة الحج من الآية ٧٨.

(١٥٠) وردت في القرآن الكريم في ٩٢ موضعاً أولها في سورة البقرة في الآية ١٠٤.

(١٥١) وردت في سورة النور في الآية ٣١.

(١٥٢) سورة البقرة من الآية ٦٢.

(١٥٣) سورة الجمعة من الآية ٦.

(١٥٤) سورة المائدة من الآية ٤٤.

(١٥٥) سورة المائدة من الآية ٨٢.

فهذه الآيةُ ذُكرتْ مدحاً لمؤمني النَّصارى، ولم يُسمِّهم مُسلمينَ، بل قال: ﴿الَّذين قالُوا إنَّا نصارىٰ﴾.

وقال في غير آيةٍ عند مدحِ المؤمنينَ منهمْ، ومنَ اليهودِ: ﴿الَّذينَ آتيناهُم الكتابَ﴾[١٥٦] ﴿وإنَّ منْ أهلِ الكِتابِ﴾[١٥٧]. فأكثرُ ما أُطلِقَ عليهمْ عند المدحِ وصفُهم بأنَّهم: ﴿أُوتوا الكتابَ﴾[١٥٨] و﴿من أهلِ الكتابِ﴾[١٥٩].

هذا في كتابنا، وأمَّا كتُبُهم فوصفَ فيها هذه الأُمةَ بالإسلامِ كما قال: ﴿هُوَ سمَّاكُم المُسْلِمينَ من قبلُ﴾. قالَ سفيانُ بنُ عيينة: «أي في التوراة والإنجيل»[١٦٠]، ولم يصفْهُم فيها بإسلامٍ ألبتَّة

أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ في تفسيرهِ عن خيثمةَ قالَ: ما تقرؤونَ في القرآنِ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا﴾ فإنَّهُ في التَّوراةِ: «يا أيُّها المساكين».

فصل:

رأيتُ في كلام أبي عبدالله بنِ أبي الفضلِ المرسي ما يشهدُ لما قدَّمتُه فقالَ في تفسيرِه عند قولِهِ: ﴿يا أهلَ الكتابِ لِمَ تُحاجُّونَ في إبراهيمَ﴾[١٦١] ما نصُّه:

«لما قالَ الفريقانِ: إنَّ إبراهيمَ علىٰ دينهما، ردَّ عليهما، وأخبرَ أنَّه على الإسلامِ، قال: فإنْ قيلَ: كيف يكونُ على الإسلامِ، وهوَ أيضاً نازلٌ

---

(١٥٦) وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع أولها في سورة البقرة في الآية ١٢١، ١٤٦

(١٥٧) في الأصل «ومن أهل الكتاب» وأثبتت من المحتوي المطبوع ومن النسخة ب وهي في سورة آل عمران من الآية ١٩٩.

(١٥٨) وردت في القرآن الكريم في ١٩ موضعاً أولها في سورة البقرة في الآية ١٠١، ١٤٤

(١٥٩) وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أولها في سورة البقرة الآية ١٠٥.

(١٦٠) في الدر المنثور ٦ / ٨١

(١٦١) سورة آل عمران من الآية ٦٥

بَعده ؟ قيل: القرآنُ أخبرَ بذلك، وما أخبرتْ كُتُبهمْ بمـا ادَّعَوا، فـإنْ قيلَ: إنْ أُرِيدَ بكونِ إبراهيمَ مسلماً، كـونهُ مـوافِقاً لهمْ في الأُصـول، فهو أيضـاً موافق[١٦٢] لليهودِ والنَّصارىٰ، الَّذينَ كانُوا على مـا جاءَ بـه مُوسىٰ وعيسىٰ في الأُصـول، فإنَّ جميعَ الأنبياءِ متـوافِقُـونَ في الأُصـولِ، وإنْ أُريـدَ بـه الفـروعُ فيكونُ النبيُّ ﷺ مقـرِّراً لا شارِعـاً، وأيضاً فـإنَّ التقيُّدَ بـالقرآنِ مـا كانَ[١٦٣] موجوداً في زمانِ إبـراهيمَ، فتلاوَتُـهُ مشروعَـةٌ في صلاتِنـا، وغيرُ مشـروعةٍ في صـلَاتهم، قيلَ: أُريـدَ الفروعُ ويكـونُ النبيُّ ﷺ شارِعـاً، لا مقرِّراً؛ لأَنَّ الله نسخَ شـريعةَ إبـراهيمَ، بشريعـةِ موسىٰ وعيسىٰ، ثم نسـخَ محمَّدٌ ﷺ شريعتَهم، فكانَ صاحبَ شريعةٍ لذلكَ. ثم لمـا كانَ مـوافقاً في الأَكثـرِ ـ وإن خالفَـهُ في الأقل ـ لم يقـدحْ ذلكَ في الموافقةِ». انتهى كـلامُ المرسيِّ وهو سؤالٌ حسنٌ وجوابٌ نفيسٌ.

فصل:

دليل ثالثٌ وعشرون:

وهو قولُه تعالىٰ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا ادْخُلُوا في السِّلمِ كافَّةً﴾[١٦٤] قال أَهلُ التَّفسيرِ: «نزلتْ فيمنْ أَسلمَ من أهلِ الكِتابِ، وبقيَ على تعـظيمِ بعضِ شـريعَتِهِ، كـالسَّبتِ، وتركِ لحـومِ الإِبلِ، فـأَمرَهُم أَنْ يـدخُلُوا في شـرائعِ الإِسـلامِ كافَّـةً، ولا يتمسَّكُـوا بشيءٍ من أَحكـامِ التَّـوراةِ؛ لأَنَّهـا منسـوخـةٌ، ﴿ولا تَتَّبِعُـوا خُـطُواتِ الشَّيْــطَانِ﴾[١٦٥] في التَّمسُّـكِ ببعضِ

(١٦٢) في نسخة الأصل «موافقاً»، والمثبت من الحاوي المطبوع، ومن النسخة ب.
(١٦٣) في الحاوي المطبوع «ما جاء».
(١٦٤) سورة البقرة من الآية ٢٠٨.
(١٦٥) سورة البقرة من الآية ١٦٨.

أحكـامِ التّوراةِ بعـدَ أنْ عرفتُم نسخَـهُ. و«كافَّـةً» من وصفِ السِّلمِ، كأنّـه قيـلَ: ادخلوا في جميع شـرائـعِ الإسـلامِ اعتقـاداً وعملاً». هٰـذهِ عبـارة المرسي في تفسير هٰذهِ الآية.

وقد أخرجَ ابن أبي حاتمٍ (١٦٦) عن ابن عبّاسٍ في الآيةِ قالَ: «نزَلتْ في مؤمني أهلِ الكتابِ، تمسَّكُوا ببعضِ أمرِ التّوراةِ والشرائِعِ التي أُنـزلَتْ فيهِمْ يقول: ادخُلوا في شرائعِ دينِ محمَّدٍ ﷺ ولا تَدَعُوا منها شَيْئاً».

وهٰذا صريحٌ في أنَّ شريعةَ التوراةِ لاَ تُسمّىٰ إسلاَماً.

تنبيه:

ذكـر السُّبكي في عبارَتِـه، لمـا تكلّم على عمـومِ رسـالتـه ﷺ إلى الجنِّ، عدةَ آياتٍ من القرآنِ، ليستدِلَّ بها علىٰ ذلك، ثم قالَ عقبَ ذلكَ: «واعلمْ أنَّ المقصـودَ بتكثيرِ الأدِلَّةِ، أنَّ الآيةَ الـواحدةَ أو الآيَتَيْنِ قـد يمكنُ تـأويلُها ويتـطرَّقُ إليها الاحتمـالُ، فإذا كثُـرَت، قد تتـرقّىٰ إلى حـدٍّ يقـطعُ بإرادتِها ظاهراً، ونفيِ الاحتمالِ والتأويلِ عنها». انتهى.

أقولُ: ولذلكَ أوردنا هنا ثلاثـةً وعشرينَ دليـلاً؛ لأَنَّ كلَّ دليـلٍ منها على انفرادِه، قد يمكنُ تأويلُه، وتطرُّقُ الاحتمـالِ إليه، فلمّـا كثرتْ هٰـذهِ الكثرة، ترقَّتْ إلى حدٍّ غلبَ علىٰ الظّنِّ دونَ القطعِ، لأجلِ ما عارضَها من الآيـاتِ التي استُدِلَّ بهـا للقولِ الآخـر، وهٰذا مُقـامٌ لاَ يَنظرُ فيـهِ، ويحكمُ بالترجيحِ، إلاَّ المجتهدُ، والله الموفِّقُ.

---

(١٦٦) في القرطبي: ٣ / ٢٣، والدر المنثور: ١ / ٥٧٩.

آخر الكتاب[١٦٧]

قال مؤلِّفُه رحمهُ الله تعالىٰ ورضيَ عنـهُ: أَلَّفتهُ في شـوّالٍ منْ شهورِ سنةِ ثمانٍ وثمانينَ وثمانمائة.

(١٦٧) جاءت الخاتمة في الحاوي المطبوع: «قال مؤلفه شيخنا نفع الله المسلمين ببركته: ألفته في شوال سنة ثمانٍ وثمانين وثمانمائة».

وجاءت خاتمة النسخة ب: «قال مؤلفه نفعني الله ووالدي ببركاته وبركات علومه في الدنيا والدين ألفته........».

الفهارس العامة

* فهرس الآيات
* فهرس الأحاديث والآثار والأقوال
* فهرس الأشعار
* فهرس الأعلام
* فهرس الكتب

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار والأقوال

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

فهرس الكتب

المصادر والمراجع

ـ الإتقان في علوم القرآن، للجلال السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٣م.

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر، بيروت.

ـ إصلاح المنطق، ليعقوب بن إسحق، ابن السكيت، تح. أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩م.

ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان.

ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، شرح أحمد محمد شاكر، ط٢، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ودار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥١م.

ـ البداية والنهاية، لابن كثير، إسماعيل بن عمر، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م.

ـ البرهان في علوم القرآن، للزركشي، محمد بن عبدالله، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.

ـ التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، جمعية دائرةالمعارف العثمانية، حيدر أباد، ١٣٦١هـ.

ـ تدريب الراوي، في شرح تقريب النواوي، الجلال السيوطي، تح. عبدالوهاب عبداللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

- تعليق من أمالي ابن دريد، لابن دريد، تح . السيد السنوسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير الطبري، تح . محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٧م.
- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير الطبري، ط٢، البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م.
- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، ط٢، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥م.
- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م.
- جامع الأصول من أحاديث الرسول، لمبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تح . عبدالقادر الأرناؤوط، ط١، مكتبة الحلواني ودار البيان، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م.
- جزء في صلاة الضحى، للجلال السيوطي، تح . د. خالد عبدالكريم جمعة، وعبدالقادر أحمد عبدالقادر، ضمن سلسلة رسائل السيوطي ٦، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٧م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن القاسم المرادي، تح . فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ١٩٧٣م.
- الحاوي للفتاوي، للجلال السيوطي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٥٧م.
- الخصائص الكبرى، للجلال السيوطي، تح . محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للجلال السيوطي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.

ـ دلائل النبوة، للبيهقي، أحمد بن الحسين، تح. السيد أحمد صقر، لجنة إحياء كتب السنة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٠م.
ـ دلائل النبوة، لأبي نُعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان.
ـ ديوان الحماسة بشرح التبريزي، لأبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، ط١، دار القلم، بيروت.
ـ الروض الأنف، للسهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله، مطبعة الجمالية، القاهرة، ١٣٢٢ هـ/ ١٩١٤م.
ـ سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، إعداد وتعليق عزت الدعاس ورفيقه، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.
ـ سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، بإشراف عزت عبيد الدعاس، دار الدعوة، حمص ـ سوريا.
ـ سنن النسائي، بشرح الجلال السيوطي وحاشية السندي، المكتبة التجارية، مصر.
ـ سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني تح. محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٧٢ هـ/ ١٩٥٢م.
ـ سيرة ابن هشام، عبدالملك بن هشام، تح. مصطفى السقا وآخرين، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٦م.
ـ صحيح البخاري بحاشية السندي، محمد بن إسماعيل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
ـ صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، بترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تح. شعيب الأرناؤوط، وحسين أسد، ط١، مؤسسة

الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تح. محمد فؤاد عبدالباقي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦م.

ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت، ودار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧م.

ـ عيون الأخبار، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

ـ فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ط٢، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي الشوكاني، تح. عبدالرحمن بن يحيى اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٣٧٩ هـ.

ـ الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيد شحاته، مكتبة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، تح. حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، تصحيح محمد شرف الدين، ورفعت بليكة الكليس، وكالة المعارف، استانبول، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م.

ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد عبدالباقي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٧٧م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن [illegible] القاهرة، ١٣٥٢ هـ
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، [illegible] الرياض.
- المسند، لأحمد بن حنبل، ط١، المكتب الإسلامي، [illegible] بيروت، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م
- المصنف في الحديث والآثار، لابن أبي شيبة، بعناية [illegible] الأفغاني، حيدر اباد، الهند، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، د. أ. ي. ونسنك، [illegible] ١٩٤٣م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تح. د. مازن المبارك ورفيقه، ط١، دار الفكر، دمشق.
- المفردات في غريب القرآن، للحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، نشر نور محمد، كراتشي، ١٩٦١م.
- المنهل الروي، في مختصر علوم الحديث النبوي، لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، تح. محيي الدين رمضان، ط٢، دار الفكر بدمشق، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.
- الوفا بأحوال المصطفى، لابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، تح. مصطفى عبدالواحد، ط١، دار الكتب الحديثة، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م.

المحتويات